كلثوم بن عمرو

العتابي

ت ٢٢٠هـ - ٨٣٥م

تأليف

كلثوم بن عمرو العتابي

(ت ٢٢٠ هـ - ٨٣٥ م)

تأليف

الدكتور محمد بن سعد بن حسين

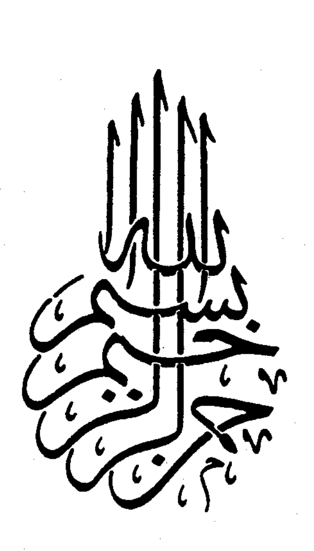
رئيس قسم الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

كلثوم بن عمرو
العتابي


بسم الله الرحمن الرحيم

مَن قرض شعراً أوْ وَضَع كتَاباً فقد استُهْدف للخُصُوم واستُشْرف للألسُن إلاَّ عندَ مَنْ نَظَرَ فيه بعَين العَدْلِ وَحَكَمَ بِغيْرِالهَوَى وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ..»

العتّابي

فهرس الكتاب

شعر العتابي

القسم الثاني : نصوص أدبه

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله واصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، وجعلنا منهم، آمين وبعد :

فلقد عَمَرَ تاريخ الأدب العربي بجمهرة كبيرة جداً من فحول الشعراء قيد الله لبعضهم من قام على تراثهم فجمعه، ثم نجّا الله بعد ذلك التراث من الضياع فوصلت إلينا مجموعات ضخمة منه بعضها لم ينله نقص ــ فيما نعلم ــ والبعض الآخر فقد منه مافقد، وذلك ما روته الأخبار وأثبته الأخيار من العلماء. وفريق من الشعراء الفحول ضاع شعرهم، إما لغفلة أهل عصرهم عنهم، وإما لضياع ماجُمع.

واشتملت كتب الأدب والتاريخ على كثير من نماذج شعر أولئك الشعراء وكلامهم في الأدب وغيره من الفنون، فاتجه بعض الباحثين إلى لملمة تراث بعض أولئك من بطون الكتب، وبقى كثيرون لم تنلهم عناية الباحثين إلا بقدر، ومن هؤلاء صاحبنا ابو عمرو العتابى الذي تناوله الدكتور أحمد محمد النجار بدراسة لابأس بها ولكنها غير كافية، إلى كونه لم يجمع ما اشتملت عليه كتب التراث من نصوص أدبه.

وفي العام الماضى كنت أقوم باختبار طلبة المستوى الرابع بكلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومعى الدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيع، فكان فيما قرأه بعض الطلبة جواب (العتابى) على سؤال عن البلاغة وهو قوله :(كل من بلّغك حاجته وأفهمك معناه، بلا إعادة ولا حُبْسة ولا استعانة، فهو

بـلـيغ)[1]. وبعد الفراغ مما نحن فيه دار حديث عن العتابى وآرائه في البلاغة والنقد فوعدت بدراسة مسائل النقد والبلاغة عنده، غير أني وجدتها لا تقوى على أن تكون أساساً لبحث علمى فيممت نصوص أدبه كلها وجعلتها موضوع هذا البحث الذي قسمته إلى قسمين :

١ ــ القسم الأول : الدراسة وفيها أربعة فصول :

الفصل الأول : قبيلة العتابى وبيئته.
الفصل الثاني : ترجمة العتابى وأخباره.
الفصل الثالث : شعر العتابى.
الفصل الرابع : نثر العتابى.

٢ ــ والقسم الثاني : نصوص أدبه وتنقسم إلى فصلين :

الفصل الأول :

نصوص الشعر : وقد رتبته حسب الاغراض الشعرية التقليدية.

الفصل الثاني :

نصوص نثره : وصنعت فيه ماصنعت في الشعر.

وقد حرصت على توثيق النصوص وردها إلى مصادرها الأولى، كما حرصت على ضبط مايحتاج إلى الضبط من الشعر لتتم الفائدة.

ولم أهمل مناقشة مايحتاج إلى المناقشة من الأخبار والأقوال المروية عن العتابي والمنسوبة إليه.

وكان بعض الباحثين قد الحق العتابى بالمعتزلة اعتماداً على تهمة في وشاية ضده عند الخليفة هارون الرشيد غير أني لم أجد في أقوال العتابى مايؤكد ذلك، وذلك فيما فهمت ــ والعلم لله.

---

(١) العقد الفريد ٢/٣٦٥.

ولذا فإنى لم الحقه بطائفة أو فرقة لأن ملامح تلك الاتجاهات لم تتضح في أدبه، والتمحل والتكلف في حمل الأمور على غير محاملها الواضحة المعالم لايجدى في ميدان البحث العلمي.

ولقد صحب العتابى شاعر آخر هو منصور النمرى الذي تتلمذ على العتابى وأخذ عنه ثم تنكر له.

وقد بدا لى أول الأمر الجمع بين الرجلين في البحث ثم عدلت عن ذلك لقلة ماعثرت عليه من شعر النمرى، فأرجئت دراسته إلى حين تلمس نصوص أدبه وجمعها، فعسى أن اوفق إلى ذلك وإلى خير منه مما أخدم به فكر أمتنا وتراثها العريق، هذا التراث الذي يزداد وجوب خدمته ودراسته كلما ازدادت هجمات الادعياء عليه، وهم كثيرون في زماننا هذا.

وفقنا الله لكل مافيه الخير والصلاح، والحمد لله اولاً وآخرا.

وصلى الله على محمد،

د. محمد بن سعد بن حسين
الملز في ١ ذي الحجة ١٤٠٥هـ
١٨ يوليو ١٩٨٥م

تمهيد
أبو عمرو العتابي

يعد الشاعر (كلثوم بن عمرو العتابى) من الأدباء العلماء الذين كان لهم شأن في الصدر الأول من العصر العباسي، على ما ستعرفه في حديثنا عنه أن شاء الله.

ثم أنه لم ينل نصيباً كافياً من الذكر، كما أن ادبه لم ينل نصيبه من الدراسة الكافية أيضاً.

وغني عن الذكر أن التفتيش عن نتف الأخبار والأشعار والأحاديث في بطون كتب التراث أمر يحتاج إلى شيء من الجلد والاناة ورحابة الصدر على مايكون من فشل ونجاح في البحث والتنقيب.

لكن عندما تكون القراءة هواية، والبحث مصدر لذة ومتعة فإن المرء لا ينظر بعد ذلك إلى نوع العائد من هذه القراءة لكونها عائداً بنفسها. وبخاصة عندما تكون القراءة في كتب التراث لكونها تمتاز بخصائص ومميزات أيسرها أنها أقل اعتماداً على الإنشاء. ثم أنها اقرب إلى منابع فكر امتنا ومصادر تراثها.

ولقد عاش العتابى في عصر نشطت فيه الرواية والتأليف وجمع تراث الأمة في ذلك العصر وماقبله، إذ عاش مابين مائة واربعين، ومائتين وعشرين على وجه التقريب في مولده.

وكانت نشأته **في العراق** وهو يومئذ مسرح الفكر ومرتع المفكرين، والعلوم الإسلامية العربية قد اخذت بنصيبها من التكون والنشأة، إلى ماوفد عليها من علوم الأمم الأخرى في الطب والهندسة والتاريخ والفلسفة ونحوها، وهذا يعنى أن الرجل

عاش في زمن ازدهار ورقى فكرى وحضارى، وكيف لا وقد عاصر الرشيد والمأمون، فلا عجب أن يكون نموذجاً ممتازاً في ميدان الفكر لولا مانسب إليه من الاعتزال – إن صح –

ولقد تبعثرت اقواله واخباره في كتب الأدب، غير أن اهتمام صاحب الاغانى وصاحب زهر الآداب وامثالهما من ذوى الشأن في الكتابة والتأليف بأخبار العتابى يدل على قدره وعلو منزلته فيهم، فكان من حقه علينا لم شتات ماتبعثر من خبره وأدبه اسهاماً في خدمة تراث امتنا راجياً من الله العون والتسديد.

د. محمد بن سعد بن حسين

القسم الأول

الدراسة

الفصل الأول

قبيلة العتّابي وبيئته الخاصة

١- قبيلة تغلب .
٢- البيئة الخاصة
ا- قنَّسرين
ب- رأس العين
جـ- الرقة
٣ - من ملامح الحياة العامة في العصر العباسي

قبيلة تغلب

تعتبر قبيلة تغلب من أعظم القبائل العربية، وقديماً قيل لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس[1]

وهي تنتسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى ابن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعه بن نزار بن معد بن عدنان.وتغلب لقب والاسم الحقيقي (دثار)، وإنما لقب بتغلب لأن أباه وائلاً قصدته اليمن في داره لسبي أهله، فصرخ في أهله وعشيرته، فنُصر على اليمن، وكان دثار طفلاً فتبرك به، وقال : هذا تغلب، فسمي به[2]

وهذا يدل على تأصل وشجاعة وفروسية. وقد علا شأن هذه القبيلة كثيراً في الجاهلية أيام رئاسة عمرو بن كلثوم لها ،|وقد كان الناس يصفونها فيما بعد بتغلب الغلباء، لقوتها وشجاعتها، كما جاء في رثاء المتنبي لأخت سيف الدولة، يقول :

وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها   فإن في الخمر معنى ليس في العنب

منازلها بعد الإسلام :

لما تشعبت القبائل نزل بنو تغلب على من نزل من ربيعة في نجد والحجاز وتخوم

---

(١) ليس من هدفنا هنا التوسع إلا بقدر الحاجة، وإن في كتب الانساب والتاريخ والأدب بغية لمستزيد، ويمكن الرجوع لماكتبه الدكتور فخر الدين قباوة|في مقدمة كتابه عن الأخطل، وقد| درج الباحثون على دراسة قبيلة الشاعر الذي يدرسونه، ولكننا هنا، اقتضبنا لكثرة الدراسات حول تغلب وشعرائها من مثل عمرو بن كلثوم، والأخطل، والقطامي....

(٢) وفيات الأعيان ٣٨٩/١.وانظر معجم قبائل العرب ١٢٠/١.

تهامة [1]. ثم ارتحل هؤلاء إلى الجزيرة، واستقر بها المطاف بالجزيرة الفراتية، التي تعرف بديار ربيعة [2]. وقد تفرّعوا بعد ذلك، فنهم من سكن في الصحراء، ومنهم من سكن في الموصل وديار بكر، ومنهم من سكن في حلب [3]. ومنذ خلافة أبي بكر كان انطلاق الفاتحين قد أدّى بالعرب إلى هجرات من نوع جديد، وفي أيام عمر وعثمان كان التشديد على نزول العرب في مواضع نائيه عن المدن والقرى، فإذا توجه العرب إلى حلب نزلوا في أعمالها في قنسرين، ومنبج وغيرهما، وإذا توجهوا إلى الرقة نزلوا في مناطق نائية عن المدينة، وقد كان معاوية في ولايته لعثمان على الشام والجزيرة يفعل ذلك، وقد أمره عثمان أن ينزل العرب مواضع نائية عن المدن والقرى، فأنزل المازحين والمديبر أخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم [4]، وفي المازح والمديبر، وهما من قرى الرقة يقول جرير [5] :

كأنّي بالمديبر بين زكّا ... وبين قرىٰ أبي صفرى أسير

وقد كانت طبيعة الصراع الإسلامي مع الروم تجعل أقاليم الثغور خالية من سكانها، لذا فقد درج الخلفاء من حين إلى آخر على نقل جماعات من مختلف الأمصار الإسلامية إلى مدن الثغور مما جعل سكانها خليطاً من مختلف القبائل [6].

وهذا يفسّر لنا أمرين، الأول تفرق القبيلة الواحدة بين عدة ثغور، وعواصم، وانتقال أفرادها من ثغر إلى ثغر تبعاً لانتقال القبيلة. كما يفسّر لنا أمر الخلفاء، بنزول العرب المناطق النائية إذ أن الاعتماد عليهم في حماية أطراف البلاد من أي اعتداء وراء هذا التصرف الأمر الذي يجعلهم دائماً لحمة للمعارك وسدًى لها.

وقد حلّ قسم من بني تغلب في قنسرين من أعمال حلب، وقسم آخر في الجزيرة الفراتية مابين رأس العين، وديار بكر والموصل.

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٣٢٦/٥.

(٢) صبح الأعشى ٣٣٧/١. المطبعة الأميرية القاهرة ١٣٣١هـ ــ ١٩١٣م.

(٣) الدولة الحمدانية/١١ فيصل السامرا رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة.

(٤) معجم البلدان مازح، وانظرالبخلاء ص٢٧٥، ط ثانية ١٩٦٣م.

(٥) ديوان جرير، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه ج٤٦٢/١، دار المعارف.

(٦) المسالك والممالك، ابن خرداذبه/٣٥٤. تحقيق محمد جابر عبدالعال ومراجعة محمد شفيق غربال، بغداد.

وكانت قصبة منازلهم في القرن الأول بين ديار مضر، وديار ربيعة، فقد انتشروا مابين قرقيسيا [١]، وسنجار ونصيبين شمالاً، وعانه وتكريت جنوباً وهذا الإقليم يقرب أن يكون شبه جزيره إذ يحده نهر الخابور ودجله والفرات، وهو في ديار ربيعة. وعاش قسم آخر من تغلب في مضاربها على الضفة اليمنى لنهر الفرات عند منبج والرصافة [٢]، وهذه في ديار مضر وعاصمتها الرقة، وصعدوا فيما بعد إلى جوار قنسرين ودمشق [٣]. وقد ظل التغلبيون يتنقّلون مابين حلب وقنسرين والجزيرة، مدة طويلة من الزمن، وكان أبو فراس الحمداني التغلبي حين ينزل الجزيرة يشتاق إلى حلب وقويقها (وهو نهر صغير)، فيقول :

ونزلت من بلد الجزيرة منزلاً … خلواً من الخلطاء والندماء

الشام لا بلد الجزيرة لذتي … وقويق لاماء الفرات مائي [٤]

وإذا ما خيّر بين الرقة البيضاء، ومنبج السوداء فإنه يختار هذه الأخيرة على الرقة لأنها دار ملكه، وموطن حنينه، فيقول [٥] :

وأبيتَ مرتهن الفؤاد بمنبج الـ … سوداء لابالرقة البيضاء

وإذا كانت هذه نظرة أمير تغلبي، فإن بعض التغالبة ممن كانوا من عامة الناس أو خاصتهم لهم رأي آخر فقد رحلوا من حلب وضواحيها وأعمالها إلى الجزيرة كما فعل العتابي حين خرج من قنسرين إلى الجزيرة.

كان الرشيد حين استلم الخلافة قد أفرد قنسرين بكورها فصيرها جنداً، وأفرد منبج ودلوك ورعبان، وغيرها فسمّاها العواصم لاعتصام المسلمين بها، فتعصمهم من العدو [٦].

(١) تقع قرقيسيا إلى الشرق من مدينة دير الزور في الشمال الشرقي من سوريا وهي تابعة للميادين، وتسمى اليوم (البصيرة) وإلى جانبها مدينة الميادين قلعة مالك بن طوق التغلبي، ومازالت قائمة وتحتاج إلى ترميم.

(٢) رصافة هشام بن عبدالملك، وتبعد عن مدينة الرقة السورية قرابة ٤٠ كيلاً.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٣٢٦/٥ بتصرف يسير.

(٤) ديوان أبي فراس ٨/٢. تحقيق سامي الدهان، بيروت ١٩٤٤م.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) الدر المنتخب/٩. تأليف ابن الشحنة الحلبي. ط الكاثولوكية بيروت ١٩٠٩م.

البيئة الخاصة

«من الواضح أن كل خصائص الفرد، بل شخصيته بأكملها تتكون من الموقف الذي يتخذه إزاء البيئة منذ الطفولة المبكرة»[1].

وعلى ضوء أثر البيئة نستطيع أن نحلل كثيراً من تصرفات العتابي، وسوف نمر بكثير من التصرفات التي تدل على صحة الفكرة القائلة بأثر البيئة في الإنسان وخاصة في الشاعر ذلك الإنسان المرهف الحس والشعور.

قِنَّسْرين :

قيل لو رفعت أي حجر في بلاد الشام لوجدت تحته أثراً يعود إلى حضارة من الحضارات العريقة التي مرّت على تلك البلاد خلال أزمنة سحيقة..

وقِنَّسْرين إحدى بلاد الشام القريبة من حلب، وكانت أيام الخلافة الإسلامية ثغراً يجتمع فيه أخلاط من قبائل العرب وقد أصدر الرشيد أمراً خلافياً سلطانياً، بأن تكون والرقة من العواصم.

وكانت قنَّسرين قديماً تعرف بحلب القديمه، وإلى حد قريب يطلق عليها العثمانيون اسم (آسكي حلب)، وكان سلوقس نيكاتور[2] Silokous Nikator قد حصنها ودعاها خلقيس ادبيلوم. وتقع على طريق القوافل بين حلب وأنطاكية.

وقد فتحها أبو عبيدة الجراح رضى الله عنه، وذلك سنة ١٧هـ ــ ٦٣٧م. وكان «أتى على قنَّسرين وعلى مقدمته خالد بن الوليد فقاتله أهل مدينة قنَّسرين ثم لجؤوا إلى حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم، وغلب المسلمون على أرضها وقراها، وقال أبو بكر بن الأنباري، أُخِذَت من قول العرب (قنسرِّي أي مُسنٌّ، وأنشد للعجاج[3] :

(١) علم النفس الفردي/ ٨٤.

(٢) نيكاتور أي الظافر نحو ٣٥٥ ــ ٢٨٠ ق.م قاد الجيش تحت إمرة الأسكندر خلفه في الملك على البلاد الممتدة بين الفرات والهندوس ثم سمّى نفسه ملكاً نحو ٣٠٥ ق.م وضم إلى ممتلكاته سورية وأسيا الصغرى وأسس انطاكية على العاصي ٣٠٧ ق.م، أغتيل.

(٣) معجم البلدان ج ٤/٤٠٤.

أطــربــاً وأنــت قِــنَّــســريٌّ والــدّهــر بــالإنــســان دوّاري؟

وقيل سميت قِنّسرين لأن ميسرة بن مسروق العبس مرّ عليها، فلما نظر إليها، قال: ماهذه فسميت له بالرومية، فقال، والله لكأنها قِنُّ نَسر فسميت قِنّسرين.

وقال صاحب معجم البلدان كذلك: رُوى في خبر مشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم : «أوحى الله تعالى إليَّ أيّ هؤلاء الثلاث نزلت فهي دار هجرتك المدينة، أو البحرين، أو قِنّسرين، وهي كورة بالشام منها حلب[١]

ومازالت عامرة آهلة إلى أن كانت سنة ٣٥١هـ حين غلب الروم على مدينة حلب، فخاف أهل قنسرين، وتفرقوا في البلاد، فطائفة عبرت الفرات، وطائفة نقلها سيف الدولة إلى حلب.

وينسب إليها جماعة منهم هلال بن أبي العلاء الرّقي[٢] الذي سكن الرقة فيما بعد.

ويبدو أن أهلها رحلوا عدة مرات، وكانت أيام الرشيد قد تحسنت وفي سنة ١٧٠هـ ــ ٧٨٦م أصدر الرشيد أمراً من الرقة بعزل الشغور كلها عن الجزيرة وقِنّسرين، وجعلها حيزاً واحداً سميت بالعواصم[٣].

وقد كان في قنسرين دير[٤] كبير يدرس علوم اللاهوت، واللغات القديمة اليونانية، والسريانية، وعندما قام نصر بن شبث العقيلي في أرض الجزيرة الفراتية سنة ١٩٥هـ ــ ٨١٥م شب حريق في دير قِنّسرين، فأتى على بعضه، فتهدم، فغادره طلابه، وجاء قسم كبير منهم إلى دير العمود في ظاهر الرقة[٥]». وأهم مايمكن ذكره من هذه النصوص التي تحدثت عن قِنّسرين، أنها قديمة، وأنها فتحت سنة ١٧هـ، وأن

---

(١) معجم البلدان ج ٤٠٤/٤. قلت ولا أعلم صحة لهذا الحديث.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر تاريخ الطبري حوادث سنة ١٧٠هـ و١٨٠هـ.

(٤) انظر مار أفرام برصوم الأول اللؤلؤ المنثور الطبعة الثانية حلب ١٩٥٩م.

(٥) ج٣١٢/٦ وقائع الندوة الدولية لتاريخ الرقة وآثارها ص/٢٠١، محاضرة محمد عبدالحميد الحمد.

فيها ديراً يدرس العلوم اللاهوتيه واللغات اليونانية والعربية والسريانيه كما يدرس الرياضيات والفلك.

وهذا يعني أن العتابي ولد في بيئة علمية، وما كان المسلمون يأبون من دخول الأديرة للتعلم... كذلك من المهم أن نعلم بأمرين الأول أن فيها أخلاطاً من العرب، والثاني أن هلالاً بن العلاء الرَّقّي ينسب إليها في الأصل، وقد ذكرناه هنا لأنه سيرد له رأي في شاعرنا الذي ندرسه.

وقد كانت الحياة قلقة في قِنّسرين، وهذا مايفسّر هجرة كثير من أهلها، وظلت كذلك، وهذا بسبب الحروب والفتن، إلى سنة ٣٥٥هـ، وقد شهدت كثيراً من المعارك الداخلية والخارجية أيام العتابي وبعده، وقصيدة أبي فراس المشهورة :

لنا الجبل المطل على نزار حللنا النجد منه والهضابا

فلما أن طغت سفهاء كعب فتحنا بيننا للحرب بابا

منحناها الرغائب غير أنّا إذا شئنا منحناها الحرابا

هذه القصيدة كانت قد سببتها معركة في قِنّسرين بين الحمدانيين التغالبة، وجموع من قبائل نزار واليمن، جمعت جموعها بسلمية ثم سارت إلى قِنَّسرين فأوقعت بعامل سيف الدولة، ولكنه انتصر عليهم وأفناهم ، وفي هذا قال أبو فراس قصيدته التي استشهدنا بمقطع منها.

كما كانت قِنَّسرين ساحة للحرب بين الاخشيد وسيف الدولة[(١)]. فهي وإن كانت موضع رأس العتابي، إلا أنه لم يكن يرتاح فيها لكثرة مافيها من أخلاط، وأحداث، ومادام قد نهل فيها علومه الأولى، فلا بأس عليه أن يرحل إلى رأس عين على الخابور في الجزيرة الفراتية، ولابد من وقفة عند كل من هذه المسميات.

فالجزيرة الفراتية، أو الجزيرة : اسم أطلقه الجغرافيون العرب على الأجزاء الشمالية من المنطقة الواقعة مابين نهري دجلة والفرات، وقد تنازعها الفرس والرومان مدة من الزمن.

(١) الكامل ج٦/ ٣١٢.

فتحها عياض بن غنم، وجرت فيها معارك خطيرة بين الأمويين ومناوئيهم، كانت مصدراً لعدة ثورات قام بها الخوارج. ومنها انطلق الحمدانيون ليؤسسوا دولتهم في الموصل وحلب.

والخابور، هو أحد روافد الفرات، طوله ٣٢٠ كيلاً يصب فيه عند ناحية الصّوَر من أعمال محافظة دير الزور عند مصبه في الفرات، وهو أحد مصادر الرّي في الجزيرة. وهناك خابور أصغر، وهو أحد روافد دجله ينبع في أرمينيا الجنوبية ويصب في دجلة بين مغارة ومزرة بالعراق [١].

وقد كتب الهمذاني في صفة جزيرة العرب، قال [٢] وهو يتحدث عن تغلب: «وكانت بعض بطونها منتشرة في منطقة الخابور» وأما رأس عين التي على الخابور فهي المعروفة برأس العين. وهي البلد الثاني الذي عاش فيه العتابي، وهي قريبة من حرّان ومن الرُّها، والرقة ليست بعيدة عنها، فهي واقعة ضمن مثلث حضاري قديم. وقد وصفها صاحب معجم البلدان، فقال :

رأس عين :

والعامة تقول (رأس العين)، وقد جاء في شعر قديم لهم، قاله بعض العرب في يوم كان برأس العين بين تميم وبكر بن وائل، وقتل فيه فارس بكر بن وائل معاوية ابن فراس، قتله أبو كآبة جزء بن سعد، فقال شاعرهم :

هم قتلوا عميد بني فراس ... برأس العين في الحجج الخوالي

ثم استشهد بشاهد آخر، وقال : وهي مدينة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودُنيسر، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخاً، وقريب من ذلك بينها وبين حرّان، وهي الى دُنيسر أقرب، بينهما نحو عشرة فراسخ.

---

(١) انظر المنجد في اللغة والأعلام (الجزيرة). قلت : وهي اليوم منطقة تقع في شمال شرق سورية، مؤلفه من ثلاث محافظات، هي الرقة، ودير الزور والحسكة.

(٢) ص : ١٣٢ ــ ١٣٣. صفة جزيرة العرب، للهمذاني.

وفي رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافيه، تجتمع كلّها في موضع فتصير نهر الخابور، وأشهر هذه العيون،أربع : عين الآس. وعين الصرار، وعين الرّياحيّه، وعين الهاشميّة، وفيها عين يقال لها خَشْفَة سلامة، فيها سمك كبار.. وعين الصرار هي التي نثر فيها المتوكل عشرة آلاف درهم، ونزل أهل المدينة، فأخذوها لصفاء الماء، ولم يفقد منها شيء....

وتجتمع هذه العيون، فتسقي بساتين المدينة وتدير رحيَّها ثم تصب في الخابور،.... وفيها عَيْن ممايلي حرّان تسمى الزاهرة، وكان المتوكل نزلها، وبنى بها بناء، وكانت الزواريق الصغار، تدخل إلى عين الزاهرية، وعين الهاشمية، وكان الناس يركبون فيها إلى بساتينهم، وإلى قرقيساء إن شاؤوا،... غير أن هذه الزواريق لم تكن أيام ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان، ثم يقول :

وبالقرب من عين الزاهرية عين كبريت يظهر ماؤها أخضر ليس له رائحة فيجري في نهر صغير، وتدور به ناعورة يجتمع مع عين الزاهرية في موضع واحد، فيصبان جميعاً من موضع واحد في نهر الخابور.

والمشهور في النسبة إليها (رأس العين) الرّسعني وقد نسب إليها الرّاسي.وممن اشتهر بذلك أبو الفضل جعفر بن محمد بن الفضل الراسي، يروي عن أبي نُعيم» (١)

الرقـة :

الرقة مدينة قديمة عرفت بالزمن القديم باسم (كلّلينيكوس)، وقد أخذت اسمها من سلوق الثاني الذي أنشأها عام ٢٤٠، وقيل ٢٤٢ ق.م وقد فتحها الصحابي عياض بن غنم سنة سبع عشرة للهجرة.

واسم الرقة من أصل عربي، فهي بطائح النهر يصيبها الفيضان في مواسم (٢).

---

(١) معجم البلدان. ج ١٣/٣ ــ ١٤ دار صادر، ودار بيروت ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

(٢) ربيعة الرقي شاعر الرقة في العصر العباسي، د. علي شواخ اسحاق الشعيبى، دار السلام، حلب ١٣٩٩هـ ص /٣٩ ــ ٤٣.

وقد اهتمت الخلافة العباسية بالرقة في القرن الثاني اهتماماً كبيراً، لأنها كانت أجمل ديار مضر من جهة، ولأنها تسيطر على تخوم الشام من جهة ثانية. فكان عليهم الاحتفاظ بها، وتقوية مركزها. وقد شرع المنصور سنة خمس وخمسين ومئه (٧٢٢)م ببناء مدينة جديدة بمحاذاة الرقة سميت الرافقة بناها بناء بغداد بسورها وشوارعها وأحيائها وطرازها[١]

ورتب بها جنداً من أهل خراسان، من الموالين للدولة الجديدة، ولأهل بيته خاصة، وسرعان ما أصبحت مدينة مشهورة معروفة. ثم قامت بين الرقة والرافقة ضاحية بها أسواق وصلت بين المدينتين .. وانتقل اسم الرقة إلى الرافقة فيما بعد، فقيل عنهما الرقتان.

استوطنها الرشيد سنة ثمانين ومئه، وبنى فيها قصراً جميلاً، وتكاثر بها الناس وزادت عماراتها وأسواقها...

وكان لانتقال الرشيد إليها أثر عظيم في ازدهارها، وأصبحت مدينة علم وملك... وفي الرقة جرى نظام الخليفة على استقبال عامة الناس، وكان طبيبه جبريل بن بختيشوع أول من يدخل عليه، ثم يسأله عن أخبار العامة، فتدخل الوفود عليه بعد ذلك[١]

البيئة الطبيعية في الرقة :

كانت البيئة الطبيعية في الرقة جميلة جداً، ليس من المبالغة قولنا أنها كانت أجمل من بغداد. تموج فوق بحر من الخضرة، وتخترقها أنهار كثيرة، فالفرات يشطرها شطرين : الرقة البيضاء والرقة السوداء مع الرافقة على يساره، ورقة واسط على جنوبه. وهناك نهرا الهني والمري على جنوب الفرات، والبليخ في شماله، والحرقات[٢] تمخر عباب الفرات. والأرض تلبس حلة سندسية على مدار السنة وطوال العام، سكنتها قبائل الورد، وعشائر الرياحين. أما الطيور والبلابل والعصافير،

---

(١) المصدر السابق ص /٤٣.
(٢) ج : مفرده حراقه بالفتح والتشديد ضرب من السفن تستخدم للتنزه.

فإن أصواتها تطرب العليل، وتخفف عنه آلامه، وهي ظل ظليل لأشجارها وبساتينها، صوت شدوها كصوت تدفق المياه غزيرة كثيرة، جميلة عذبة. القول فيها عاجز عن وصفها، فقد كانت الرياض وجه الأرض حول المدينة القديمة. والغصون وارفة الظلال والنسيم عليل رقيق.

تنتشر الزهور والرياحين في ساحاتها، وعلى أطرافها، وريح الخزامى والقيصوم تعبق بالجو، وغدرانها تنساب بين الروابي، تشتاق إليها الديم من شدة ما ألفتها فتأتيها بحنان وشوق المشتاق.

ولم تكن الرافقة أقل جمالاً من الرقة، وأمامها واسط انتشرت الجنان فيها، فامتدت على مد النظر، فالهني لبس على ضفتيه البساتين، فهي دائمة الخضرة. وفيها يقول الشاعر الصنوبري[(١)] :

أما الرياض فقد بدت ألوانها	صاغت فنون حليها أفنانها
رقت معانيها ورق نسيمها	وبدت محاسنها وطاب زمانها
نظمت قلائد زهرها كجواهر	نطمت زمردها إلى عقيانها
هذا خزاماها وذا قيصومها	هذا شقائقها وذا حوذانها[(٢)]
لو أن غدران السحاب تواصلت	سحا إذاً لتواصلت غدرانها
تبكي عليها عين كل سحابه	ما أن تمل من البكا أجفانها
منقادة طوع الجنوب إذا بدت	فكأنها بيد الجنوب عنانها
واها لرافقة الجنوب محله	حسنت بها أنهارها وجنانها
يا بلدة ما زال يعظم قدرها	في كل ناحية ويعظم شأنها

(١) الديارات : للشابشتي. ص ٢٠. مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٦م.

(٢) الخزامى والقيصوم نبتان طيبا الرائحة :(النبات والشجر) للأصمعي ص ٢٣ ــ ٤٢.

أما الفرات فإنه ضحضاحها[1]   أما الهني[2] فإنه بستانها
وكأن أيام الصبى أيامها   وكأن أزمان الهوى أزمانها

ثم إن الرشيد لما نزلها بنى قصورها وزاد في أسواقها، فعظمت المدينة وكبرت وكان قد ابتنى فيها قصراً جميلاً سماه قصر السلام وفيه يقول أشجع السلمي :

قصر عليه تحية وسلام   نشرت عليه جمالها الأيام
فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقت   للملك فيه سلامة ودوام[3]

البيئة الثقافية في الرقة :

لن يتاح للدارس الوقوف على شخصية شاعر ما إذا لم يتعمق في دراسة الجوانب الأساسية، والعناصر التي عملت على تكوين ثقافته، والمؤثرات التي أثرت في نفسيته، والبيئة التي يعيش فيها إذ أن البيئة لها أثر كبير في بناء شخصية الإنسان، فهو (ابن عوائده ومألوفه، لا ابن طبيعته ومزاجه فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقاً وملكة وعادة تتنزل منزلة الطبيعة والجبلة، واعتبر ذلك في الآدميين تجده صحيحاً، والله يخلق ما يشاء).

وقد تعرفنا على الرقة، بنائها، لمحة عن تاريخها، بيئتها الطبيعية، فكان لابد أن نقف على البيئة الثقافية التي راجت فيها لنحيط بظروف العتابي كاملة.

فقد كانت الرقة من الأقاليم التي تهتم بالثقافة وبالعلم. فهي صاحبة المنزلة الأدبية والعلمية الرفيعة.

لا تقل شأناً عن بغداد والبصرة والكوفة، وواسط والموصل، ورد في كتاب الحيوان للجاحظ حديث عن نفع الكتاب جاء فيه :

---

(١) الضحضاح : الماء اليسير أو القريب من القعر.
(٢) الهني : نهر بإزاء الرقة حفره هشام بن عبدالملك.
(٣) يقال أن الرشيد طرب لهذه القصيدة، وأمر بأن ينثر عليه الدر اعجاباً واستحساناً.

(أنه لولا الكتاب لم يجز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد، وواسط ما كان بالبصرة، ومايحدث بالكوفة في بياض يوم، حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة، فتعلم بها أهل البصرة قبل المساء) [1].

فالرقة من المدن التي تنتقل إليها أخبار البلاد، ونتاجها الأدبي بسرعة إذ أنها سوق علمية أدبية يروج فيها الكتاب فيمشي. وقد رأينا كثيراً من أسماء الأدباء والعلماء والفقهاء والأطباء الذين ينتسبون إليها.

يحضر إليها الناس لتطوير علومهم، وبخاصة بعد أن نزلها الرشيد. ومن هنا كثر بها عدد الأدباء والعلماء والفقهاء والأطباء، والمهندسون والفلكيون والرواة، والمتأدبون.

وإليها نسب جماعة منهم : أبو عمرو هلال بن العلاء بن هلال الرقي [2]، وحكيم بن نافع الرقي [3] وابراهيم بن أحمد بن محمد الرقي [4]، الفقيه الحنبلي. ومحمد بن حسين الرقي [5] المعروف بالمعوّج الرقي، والحسن بن محمد الرافقي [6]، والرقي

---

(١) الحيوان للجاحظ : أبو عثمان عمرو بن محجوب الكناني بالولاء الشهير بالجاحظ كبير من ائمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره. كان مشوه الخلقة مات والكتاب على صدره قتلته كتبه. النص من الحيوان ج١/ ص ٩٦/ ٩٧/ انظر كتاب الجاحظ : شارل بلات : ترجمة ابراهيم الكيلاني دمشق ١٩٦١. وانظر الأعلام ج/٥ ص/٢٧٨.

(٢) أبو عمرو هلال بن العلاء بن هلال الرقي : كان من أهل العلم واللغة بالرقة، مات سنة ثمانين ومائتين. معجم الادباء ج ١٩/ص ٢٩٤ انظر أخباره في نهر الذهب في تاريخ حلب، بلا تاريخ : من ص ٤٨١/٣٣٧، وفيه أنه محدث ضعيف الحديث مات سنة سبعين ومائتين هـ.
وانظر ذكره في تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم : للقشيري : فهرس الاعلام ص/١٧٨.

(٣) حكيم بن نافع الرقي : محدث يروي عن صغار التابعين، قال أبو زرعة ليس بشيء، وقال ابن معين ليس به بأس. انظر تاريخ الرقة للقشيري : ص/١٣٨ ط ١ : ١٩٥٩.

(٤) هو فقيه حنبلي من أهل الرقة. مولده ووفاته فيها.

(٥) محمد بن حسين الرقي : شاعر مشهور من شعراء القرن الثالث وهو أستاذ الصنوبري الشاعر الحلبي، لقب بالمعوج. أخباره كثيرة انظر الابانة عن سرقات المتنبي : تأليف أبي سعد محمد بن أحمد العبيدي. دار المعارف بمصر. طبعة ١٩٦١م. وانظر ديوان الصنوبري السابق الذكر.

(٦) الحسن بن محمد بن جعفر الرافقي : وهو من ذرية معاوية بن أبي سفيان. معروف بالخالع : أحد كبار النحاة، كان إماماً في النحو واللغة والأدب وله شعر توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة. انظر أخباره في معجم الأدباء : ياقوت الحموي الطبعة الثانية مصورة عن الطبعة الأولى نشر سنة ١٩٢٤ : ج ١٠ ص ١٥٥.

ميمون[1]، وربيعة الرقي وآخرون لم ينسبوا إليها، وإنما كانوا فيها. منهم وابصة بن معبد الأسدي[2]. صحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم ولده سالم ابن وابصة الذي بقي والياً عليها مدة ثلاثين سنة وفيها من الشعراء : أشجع السلمي[3]، وأبو الشيص[4]. ومن المتأخرين القاضي البيضاوي صاحب التفسير، وقيل هو من البيضاء بلدة بفارس[5]. وكذلك منهم عيسى بن المعلى الرافقي[6].

ومن الفلكيين المتقدمين : محمد بن جابر بن سنان الحراني الرقي الصابي، أبو عبد الله المعروف بالبتّاني، فلكي مهندس سكن الرقة واشتغل برصد الكواكب من

---

(١) وهو ميمون بن مهران محدث من التابعين : أنظر أخباره الكثيرة في تاريخ الرقة فهرس الأعلام ص ١٧٨ وانظر الكامل لابن الأثير : ج ٥ ص ٥٢.

(٢) وابصة بن معبد الأسدي : هو وابصة بن معبد بن عبيد بن مالك ابن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن الحارث بن بشير بن كعب بن سعد ابن أسد بن خزيمة. صحابي جليل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم. سكن الكوفة، ثم تحول فأقام بالرقة إلى أن توفي فيها وروى عنه الناس، كان كثير البكاء لايملك دمعه. وكان له بالرقة عقب من ولده : عبد الرحمن ابن صخر قاضي الرقة أيام هارون الرشيد. وابنه سالم بن وابصة وهو شاعر معروف. وقبر وابصة غير معروف في الرقة، والغريب أن محقق كتاب تاريخ الرقة الأستاذ طاهر النعساني يأخذ بأقوال العامة فيعتقد أن القبر الموجود في باحة مسجد الرافقة الأثري هو قبر وابصة. والأستاذ النعساني يناقض نفسه في الكتاب المحقق فيقول : أن قبره معروف (ص ٨) وفي المقدمة في حرف (ل) يقر أنه أطلع على مخطوطة تفيد بأن سعد الدين باشا العظم والي الرقة سنة ١١٧٥هـ أصيب بالطاعون ودفن في باحة المسجد. وهذا هو الصحيح عندنا إذ أن هذا القبر المنسوب لوابصة يقع في باحة مسجد الرافقة الجامع ولم تكن الرافقة قد بنيت أيام وابصة كما أنه مات بالرقة على المشهور، والقبر المنسوب إليه موجود في الرافقة. انظر أخباره في الطبقات الكبرى لابن سعد طبعة كتاب التحرير وفي تاريخ الرقة للقشيري وانظر خاصة كتاب الطبقات : لأبي عمرو خليفة بن خياط. تحقيق سهيل زكار. دمشق ١٩٦٦ مكتبة الثقافة. وكتاب خاص به ظهر حديثاً، للأستاذ حمصي فرحان الحمادة.

(٣) أشجع بن عمرو السلمي : أبو الوليد توفي نحو ١٩٥ — ٨١١م من بني سليم من قيس عيلان : شاعر فحل كان معاصرا لبشار ولربيعة الرقي، ولد باليمامة، ونشأ في البصرة، وانتقل إلى الرقة واستقر ببغداد. انظر الاعلام : ج ١ ص ٣٣٢.

(٤) محمد بن عبدالله الخزاعي : من شعراء القرن الثاني، وهو شاعر مجدد بعيد عن روح البادية كل البعد في جميع شعره، أصيب بالعمى في آخر عمره وله مراث في عينيه. راجع أخباره في البداية والنهاية لابن كثير.

(٥) نهر الذهب في تاريخ حلب، للغزي، بلا تاريخ. وفي البداية والنهاية لابن كثير ١٩٦٦ : ج ٣ ص ٣٠٥ وفيها أنه من شيراز.

(٦) عيسى بن المعلي بن مسلم الرافقي توفي ٦٠٥هـ — ١٢٠٨م. مؤدب من الشعراء. من أهل الرقة. له ديوان شعر في مجلدين، والمعونة في النحو، وتبيين الغموض في علم العروض وغير ذلك. راجع الأعلام : ج٥ ص ٢٩٥.

سنة (٢٦٤هـ إلى سنة ٣٠٦هـ) وكان يذهب مع بعض أهل الرقة في ظلامات لهم إلى بغداد [١].

مثل هذا الموج الزاخر من العلماء، والفلاسفة، والأطباء، والفقهاء والمحدثين، لابد أن يمد جذوره في تربة البيئة التي يعيش فيها، فيؤثر في حياة الناس وطباعهم. وإلى جانب هؤلاء الرقيين، كانت الرقة تستقبل الشعراء الذين كانوا يشخصون اليها طمعاً في نيل الخليفة والأمراء مثل الراجز العماني، وأشجع السلمي الذي استقر بها، ومنصور النمريّ، ومروان بن أبي حفصة، وأبو العتاهية الذي كان يرافق الرشيد، وأبو نواس، ومن الأدباء والنحاة، الكسائي والأصمعي وابن سلم، والفضل بن الربيع. واسحق بن ابراهيم الموصلي من المسمعين. والعتابي، كلثوم بن عمرو.

وقد أفادت الرقة فائدة أدبية كبيرة من قدوم الرشيد اليها سنة ثمانين ومائة فذلك القدوم جعل فحول الشعراء يشخصون إليها كما ذكرنا، تكسباً أو إجلالاً. فكانت المجالس الأدبية تعقد في قصر الرشيد الأبيض، وفي قصور قواده.

فازدهرت الثقافة، وتوسعت العلوم، وكثر رواة الشعر والأدب. ومثل هذا الجو الجديد يستدعي إعداد الرجال لمسامرة السلطان والأمراء... [٢].

من ملامح الحياة العامة في العصر العباسي الأول :

بلغت الحياة من مناحيها المختلفة في العصر العباسى الأول شأواً بعيداً من الرقى والازدهار، ففي المناحي الاجتماعية اتسمت حياة الناس بالترف والزينة والزخرف، وفي المناحي الاقتصادية وقع الناس في ثراء فاحش، وبذخ دائم أدّى إلى صناعية الزخارف الجمالية في البيوت والأبنيه، والمدن، والمحلات التجارية، فكانت حياتهم زخرفاً اجتماعياً وزخرفاً اقتصادياً، ولم تكن المناحي الأدبية والعلمية بعيدة عن هذا النمط، ففي هذا العصر تطور البديع تطوراً كبيراً، ووقع الأدباء والشعراء والكتاب في زخارف لفظية جمالية مازالت مثار جدل ودراسة حتى اليوم.

---

(١) راجع الأعلام : ج٦ ص ٢٩٢. وكتاب البتاني الفلكي الرقي للدكتور علي شواخ اسحاق الشعيبى.
(٢) ربيعة الرقي، د. علي شواخ اسحاق الشعيبى ص (٤٤، ٥٥ ــ ٥٩).

وكانت الحياة بهذا الشكل تحتاج إلى الترتيب والتنميق، وكانت حاجة الكتاب والشعراء أكبر إلى الثقافات الأخرى، لتعينهم على ترتيب المعاني والتعمق في الأفكار. فلجأوا إلى الانتقاء والاختيار، وكان الجاحظ يشير إلى هذا، و يقول :«أن الكتاب لايقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة...»[1].

إلى جانب القواعد العامة التي لايخرج عنها الكتاب، منذ أن وضعها لهم عبدالحميد الكاتب، وهي تشمل معرفة كتاب الله، ومعرفة الفرائض والإحاطة التامة باللغة العربية، والثقافة العربية، ثم كان العصر العباسي فتعلموا الفارسية، ومن عشق الكتابة علماً لا وظيفة، فإنه كان يأخذ نفسه بتعلم الثقافات الأخرى، وهذا مانراه في شخص العتابي وبسبب سعه اطلاعة، وكثرة ما قرأه ودرسه صار يعتمد الحجج والأدلة والبراهين في حديثه، فظنه من ظنه أنه معتزلى.

وفي هذا العصر العباسي الأول انتشرت المجالس العلمية والأدبية وشاع ذكرها في المساجد، والقصور، والبيوت، والأسواق ولاسيا في محلاّت الورّاقين.

وفي تلك المجالس كان عدد كبير من الأدباء والنقاد والشعراء والنحاة يلتقون و يتناقشون، بموعد ودون موعد. وكانوا يسجلون كل شاردة وواردة، مما يعتبر في مصطلحات العصر الحديث من الأدب الاجتماعي والواقعي... إلى أن امتلأت المكتبات العامة والخاصة ومحلات الورّاقين بالنفيس الثمين من نتاجهم على مختلف فنونه وأشكاله، مما كون في مجموعه نهضة نادرة، وازدهاراً أدبياً وعلمياً فذاً ندر وجوده بين الحضارات.

وقد تضافرت عدة عوامل أدت إلى هذا الازدهار، أهمها :

- تشجيع الخلفاء للعلم والعلماء، والأدب والأدباء.
- اختلاف العناصر الإسلامية، ومحاولة كل فريق البحث عن أدلة وبراهين وحجج تقطع بأحقيّته في الخلافة.

(١) البيان والتبيين : ج ٢٤/٤.

- تمازج عدة حضارات عربية، وفارسية، و يونانية جاءت عن طر يق السر يانية التي كانت منتشرة في الشام وفي الجز يرة الفراتية وفي البصرة.
- ازدهار حركة الترجمة والتأليف، وافتتاح دار الحكمة.

* * *

الفصل الثاني

(ترجمة العتّابي وأخباره)

١ - ترجمة العتابي
٢ - ولادته
٣ - اتصاله ببشار
٤ - اتصاله بالبرامكة
٥ - ارتياده البلاد في سبيل العلم
٦ - اتصاله بالرشيد
٧ - اتصاله بالمأمون
٨ - العتابي وتلميذه منصور النمريّ
٩ - العتابي وآل طاهر بن الحسين
١٠ - أخبار مشكوك فيها
١١ - العتابي وزوجه
١٢ - وصفه بالاعتزال

١ ـ ترجمتـــــه :

ذكر نسبه الاصفهانى في كتاب الأغاني[(١)] فقال (كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عـبيد ابن حبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر بن مالك بن عتاب ابن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب).

وفـي زهـر الآداب زاد الحـصرى[(٢)] الحـارث جداً أولاً للشاعر، وفي تاريخ بغداد للخـطيـب البـغـدادي[(٣)] استدراك على (حبيش) حيث ذكر أنه (خنيس) وزاد فيه الحموى[(٤)] اسمين هما (عبد الله بن مسعود، ووائل بن تغلب).

والـعـتابي نسبة إلى جده التاسع كما هو في سلسلة نسبه المثبته آنفاً أو إلى قبيلته بنـي عـتـاب كما ذكـر ذلك ابن قتيبه[(٥)] ، وكنيته ابو عمرو، ولعلهم لحظوا فيها جده عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي صاحب المعقلة الخامسة عند الزوزنى، والسادسة لدى التبر يزي.

الا هُـبـى بـصـحـنـك فـأصـبـحـيـنـا ولا تـــبـــقـــى خمــور الانــدر يـــنـــا

وتـغلب احدى القبائل المعروفة وقد تحدثنا عنها، وفيها يقول الشاعر[(٦)] معيراً اياها بقلة الشعر :

ألهـى بـنـى تـغـلـب عن كل مكرمة قـصـيـدة قـالهـا عـمـرو بـن كـلـثـوم

(١) ج ١٣/ص ١٠٩.
(٢) زهر الآداب ج٣/ ص٦٧٤.
(٣) ج١٢/ ص٤٨٨.
(٤) معجم الأدباء ج٦ /ص ٢١٢.
(٥) الشعر والشعراء ج ٢/ص ٨٦٣.
(٦) البيان والتبيين للجاحظ ج٤/ ص ٤١ تحقيق عبدالسلام هارون. ولم يسم الشاعر.

يفاخرون بها مذكان أولهم ... باللرجال لشعر غير مسئوم
إن القديم إذا ماضاع آخره ... كساعد فلّهُ الأيام محطوم

وكانت تغلب قد استوطنت من الجزيرة الفراتية، ومنهم شاعرنا العتابى، وكان لتلك القبيلة بعض مواقف غير محمودة منها تخلف الكثيرين منها عن الدخول في الإسلام زمنا ومن هؤلاء الشاعر الاخطل، غياث بن غوث بن الصلت ومنها شغب بعض زعمائها على خلفاء بنى العباس ومن هؤلاء الزعماء (مالك ابن طوق التغلبى) وقد انعكست بعض الآثار السيئة لذلك الشغب على علاقة شاعرنا العتابي بخلفاء بنى العباس على ماسيأتي إن شاء الله.

٢ ـ ولادته :

ولد العتابى في مطلع القرن الثاني للهجرة في مدينة قنسرين الشامية وكانت مرتاداً لقبيلته بنى تغلب، ولم يرد فيما قرأت تحديداً شافياً كافياً لتحديد تاريخ مولده، غير أن في بعض الروايات أنه عاصر بشاراً واتصل بهارون الرشيد ووفد على عبد الله المأمون، واتصل بالبرامكة، وبطاهر بن الحسين واولاده.

٣ ـ اتصاله ببشار :

ومن تلك الروايات مارواه الاصفهانى [١] :(أخبرنى الحسن بن على قال حدثنى ابن مهرويه قال : حدثنا أحمد بن خلاد قال حدثني أبى قال جاء العتابى وهو حدث إلى بشار فأنشده :

أيصدف عن أُمامةَ أمْ يُقيم ... وَعهْدُكَ بالصِبا عَهْدٌ قديمُ
أقول لِمُسْتَعارِ القَلبِ عَفّى ... على عَزَماتِه السيّرُ العديمُ
أما يكفيكَ أنّ دموعَ عينى ... شآبيبٌ يفيضُ بها الهمومُ
أشِيمُ فلا أردُّ الطرفَ إلا ... على أرجائِه ماءٌ سَجُومُ

(١) الاغاني ج ١٣/ص ١١٣.

قال فد بشار يده إليه ثم قال له : أأنت بصير؟ قال : نعم : قال عجباً لبصير ابن زانية أن يقول هذا الشعر، فخجل العتابي وقام عنه...).

٤ ــ اتصاله بالبرامكة :

ورد في هذا الاتصال أخبار عدة منها، ماروواه الخطيب البغدادي[١] ، قال:

(وكان العتابي منقطعاً إلى البرامكة، فوصفوه للرشيد ووصلوه به) ثم ماروواه الأصفهاني[٢] أيضاً حيث قال (لما قدم العتابي مدينة السلام على المأمون اذن له فدخل عليه وعنده اسحاق بن ابراهيم الموصلي وكان العتابي شيخاً جليلاً نبيلاً) وهذا يعنى أن العتابي عاش مايقرب من تسعين عاماً لأن بشاراً توفى سنة ١٦٨هـ، وتوفي العتابي سنة ٢٢٠هـ[٣]، وكان لقائه ببشار في أواخر النصف الأول من القرن الثاني.

٥ ــ ارتياده البلاد في سبيل العلم :

وكثر ارتياده البصرة والكوفة وبغداد، ولعله أكثر من الأخذ عن علماء هذه البلدان وعاشر رواة الخبر والشعر فيها وأخذ عنهم.

ولم يكتف في مجال اللغة بلغته العربية، بل اقبل على اللغة الفارسية فتعلمها وصار يرتاد المكتبات العامره بكتب هذه اللغة، ولعل صلته بالمتكلمين ــ إن صحّت ــ سبب في ذلك (روى[٤] عن يحيى بن الحسن بن علي بن معاذ

(١) تاريخ بغداد ص ٤٨٨.

(٢) الاغاني ج١٣ ص ١١١.

(٣) انظر المنجد في اللغة والأعلام ط ٢١ ص/٤٥٥. بيروت دار الشرق.

(٤) هذا الخبر فيه اضطراب يمكن رؤيته فيمايلي :
راوي الخبر هو يحيى بن الحسن بن علي بن معاذ كان بالرقة أيام محمد بن طاهر بن الحسين، ومعلوم أنه قد ولي بعد أخيه عبدالله وهذا يعني أن العتابي كان كبيراً بالسن، كما أن صيته كان ذائعاً، وعلمه كان بارعاً، وكان الذين يخالطهم يعرفون أنه يجيد الفارسية.
وجواب العتابي : قدمت إلى بلدكم هذه ثلاث قدمات، وكتبت كتب العجم التي في الخزانة بمرو... فما هو البلد المقصود!؟ نلاحظ اضطرابا في سياق النص، وربما كان ناقصاً... والنص كلّه مركب ليأتي بالسؤال

قوله : أنى كنت بالرقة بين يدى محمد بن طاهر بن الحسين على بركة اذ دعوت بغلام فكلمته بالفارسية فدخل العتابي وكان حاضراً في كلامنا، فتكلم معى بالفارسية فقلت : أبا عمرو، مالك وهذه الرطانة؟ قال : فقال لي قدمت إلى بلدكم هذه ثلاث قدمات، وكتبت كتب العجم التي في الخزانة بمرو، وكانت الكتب إلى ماهناك مع «يزدجـرد» فهى قائمة إلى الساعة فكتبت منها حاجتى ثم قدمت نيسابور وجزتها بعشرة فراسخ إلى قرية يقال لها ذودر، فذكرت كتابا لم أقض حاجتي منه، فرجعت، إلى مرو فأقت أشهراً. قال قلت أبا عمرو، لم كتبت كتب العجم، فقال لي : وهل المعانى الا في كتب العجم والبلاغة؟ اللغة لنا والمعانى لهم، ثم كان يذاكرنى ويحدثني بالفارسية كثيراً) [1].

٦ ــ اتصاله بالرشيد :

ولم تكن له صحبة تذكر مع خلفاء بنى العباس قبل الرشيد، وفي عهد الرشيد قويت صلته بوزرائه البرامكة فوصلوه بالرشيد الذي اعجب به حتى نشطت الوشايات ضده واتهموه بالاعتزال فأراد الرشيد قتله فهرب إلى اليمن ثم عاد بعد أن احتال يحيى ابن خالد البرمكى على الخليفة الرشيد واستماله إلى العتابى من طريق اسماعه شيء من حسن كلامه فأذن بعودته، قال الجهشياري [2] (كان العتابى يقول بالاعتزال، فاتصل ذلك بالرشيد وكثر عليه في أمره، فأمر فيه بأمر عظيم. فهرب إلى اليمن، فكان مقيما بها فاحتال يحيى بن خالد إلى أن اسمع الرشيد شيئاً من رسائله وخطبه، فاستحسن الرشيد ذلك وسأل عن الكلام لمن هو؟ فقال : هذا للعتابي، ولو حضر حتى يسمع منه الأمين والمأمون هذا الكلام، ويصنع لهما خطبا، لكان ذلك أصلح، فأمر باحضاره فأخذ الامان له. فاتصل الخبر بالعتابي) وقد عرف المعتزلة بكثرة الجدل والحوار، كما عرفوا بسعة الثقافة، وتغليب العقل في كل شيء، وكان لهم اتصال بجميع ألوان المعارف، ولاسيا المعرفة اليونانية والفارسية والهندية وهي معارف تلك

= الأخير : لم كتبت كتب العجم؟ ولينزع منه الجواب الذي يعجبه وهو قوله فقال لي : وهل المعاني إلا في كتب العجم والبلاغة؟ «اللغة لنا والمعانى لهم».

(١) كتاب بغداد ص ٨٧.

(٢) الوزراء والكتاب ص ٢٣٣.

العصور، ولانستطيع أن نتهم كل من عرف بالجدل وسعة الثقافة بالاعتزال، لأن المعتقدات الدينيّة الأخرىٰ، والنظرة إلى الصفات والأسماء وأشياء أخرىٰ كثيرة هي التي ظهر منها شذوذ المعتزلة وخروجهم عن السنة والجماعة. ولم يظهر من النصوص التي بين أيدينا للعتابي شيء من هذا.. ولو كان معتزلياً حقاً لكانت له الصدارة في الكتابة الديوانية أيام المأمون، ولكان لم يقل شأناً عن سهل بن هارون أو غيره من الكتاب الذين قرّبهم الاعتزال وأعلى من شأنهم، واستقبال المأمون له ليس إلا لأنه عالم مفكر، وكان المأمون يجل العلماء والأدباء ونعد هروبه إلى اليمن من وجه الرشيد، وليد ماقاله للنمري في حق الرشيد... وهذا قول كبير فيمن قضى حياته حاجا غازيا... وربما اتهم بتشجيع الثورات التي قامت في الجزيرة على الخليفة مثل ثورة قريبه مالك بن طوق وغيره.

ثم نشطت الوشايات ضده من جديد فأمر الرشيد بضرب عنقه غير أن يحيى بن خالد استوهب دمه فوهبه اياه وعفى عنه، يقول الحصرى [1] (وكان منصور النمرى الشاعر مدح الرشيد بقصيدة طويلة، قال فيها :

إن أخلف القطرُ لم تُخلِف مخايله　　أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتّسعُ

وكان شكا قبل انشاده هذا البيت إلى كلثوم بن عمرو العتابي عسر الولادة على زوجته فلما أنشد هذا البيت قال له العتابي : أكتب على فرج زوجتك «هارون» فذكر هذا النمرى للرشيد، فأمر بضرب عنق العتابى حتى شفع فيه يحيى بن خالد واستوهب دمه، فصفح له عنه).

وراوى القصة أبو الفرج الاصفهاني بعبارات مختلفة في بعضها وزيادة في آخرها، وذكر اسم الفضل بن الربيع بدلاً من اسم يحيى بن خالد، وها هي القصة كما رواها الأصفهاني [2] (أخبرني منصور بن جمهور قال : سألت العتابى عن سبب غضب الرشيد عليه، فقال لي : استقبلت منصور النمرى يوما من الأيام فرأيته مغموماً واجما كئيبا فقلت له : ماخبرك؟ فقال : تركت امرأتي تطلق وقد عسر عليها ولادها

(١) زهر الآداب ج٣ ص ٦٧٨.
(٢) الاغانى ١٣/١١٨.

وهي يدى ورجلى، والقيمة بأمرى وأمر منزلى. فقلت له : لم لا تكتب على فرجها «هارون الرشيد» قال : ليكون ماذا؟ قال : لتلد على المكان قال : وكيف ذلك؟ قلت لقولك :

أن أخلف الغيث لم تخلف مخايله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فقال لي : ياكشخان والله لئن تخلصت امرأتي لأذكرن قولك هذا للرشيد فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه، فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلبى فاستترت عند الفضل بن الربيع، فلم يزل يسأل عنى حتى أذن لى في الظهور، فلما دخلت عليه قال لى : قد بلغني ماقلته للنمرى، فاعتذرت إليه حتى قبل، ثم قلت : والله ياأمير المؤمنين ماحمله على التكذيب على الا وقوفى على ميله إلى العلوية، فإن اراد أمير المؤمنين أن أنشده شعره في مديحهم فعلت، فقال : أنشدنى فأنشدته قوله :

شاء من الناس واتسع حامل يعللون النفوس بالباطل

حتى بلغت إلى قوله :

الا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل

فغضب من ذلك غضباً شديداً، وقال للفضل بن الربيع أحضره الساعة فبعث الفضل في ذلك فوجده قد توفى، فأمر بنبشه ليحرقه، فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه).

ثم لم يطب له المقام ببغداد فأخذ يتنقل في بلاد العرب والروم والفرس حتى إذا رحل المأمون بن الرشيد إلى خراسان خرج معه، وكان يميل إليه ربما لاعتزاله إن صح، وربما لفحولته في الشعر، وربما غير هذا وذاك فلما أراد العتابى مفارقة المأمون في سندان كسرى دعاه إلى اللحاق به إذا صار له الأمر في بغداد فلما صار له ذلك اقبل عليه العتابى غير أنه احس منه جفوة فخاطبه بأبيات أوردها الحصرى [1] في الخبر الآتى :

---

(١) العتابى ٣٤/٣٥.

(فلما خرج المأمون إلى خرسان شيعه حتى وصل معه إلى سندان كسرى فقال له المأمون : سألتك الله ياعتابى الا عملت على زيارتنا آن صار لنا من هذا الأمر شيء، فلما ولى المأمون الخلافة ودخل بغداد سنة اربع ومائتين توصل إليه العتابى وكان وصوله إليه بعد مشقة فاراد أن يذكره بذلك الوداع حينما قال :

ما على ذلك افترقنا بسندا ن ولا هكذا عهدنا الإخاء

لم أكن أحسب الخلافة يزدا د بها ذو الصفاء الآ صفاء

تضرب الناس بالمثقّفة السُّمـ ـر على غدرهم وتنسى الوفاء

وظل محبا للرحلة في طلب العلم متحملا لمشاقها دأب عليها وقد خرج عن إطار العلماء والشعراء العرب فتعلم اللغة الفارسية وأدركها واستطاع المحادثة بها).

غير أن أقوى صلة ربطته بأرباب الشأن هى صلته بالبرامكة، فهل كانت تلك الصلة سبب اقباله على اللغة الفارسية وعلومها؟ أم كانت نتيجة ذلك الأقبال؟

لم نعثر بعد على مايثبت لنا شيء من ذلك وإن كانت صلته بالبرامكة اسبق من صلته بالخلفاء، كما أن أخذه عن ابن المقفع كان اسبق من صلته بالبرامكة تلك الصلة التي قال عنها الأصفهانى [1] (وكان منقطعا إلى البرامكة، فوصفوه للرشيد، ووصلوه به، فبلغ عنده كل مبلغ).

وعلى هذا التقى ارباب السير والخبر الذين ذكروه فيما ذكروا إلا قليلون منهم كالجهشيارى [2].

والعجيب أنه لم يرو له في مدحهم سوى بيتين نظمهما في يحيى بن خالد عندما اجاره في بيته واستوهب دمه من الرشيد الذي أراد قتله عندما وشى به منصور النمرى والبيتان هما [3] :

---

(١) الاغاني ١٠٩/١٣.

(٢) الوزراء والكتاب ٢٣٣.

(٣) الاغاني ١١٩/١٣.

مازلت في غمرات الموت مطرهاً قد ضاق عنى فسيح الأرض من حيلى

ولم تزل دائبا تسعى بلطفك لى حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

وذكر صاحب «العفو والاعتذار» أن العتابى قال البيتين في خالد بن يزيد ابن مزيد، قال [١] (ويروى أن الرشيد حبس العتابى في أمر سخط عليه، فأقام في الحبس سنة، فطلب فيه خالد بن يزيد بن مزيد فأطلقه، فكتب العتابى إلى خالد يشكر له :

مازلت في غمرات الموت مُطَّرَحاً قد زال عنى لطيف الفكر من حيلى

فلم تزل دائباً تسعى بِلُطْفِكَ لى حتى اختلست حياتي من يدى أجلى)

ولم يذكر أحد ممن قرأت له في العتابى خبر سجنه هذا الذي ذكره أبو الحسن العبدى. على أن اختلاف الروايات في مثل هذا كثير، قد ينال اللفظ والمعنى وقد ينال اللفظ وحده، وما لايحصل بذكره فائدة فإنه من باب الاطناب والتكرار الذي لا جدوى من وراءه.

كما ورد له في هجائهم بيتان ذكرهما الحصرى [٢] في قوله (وكان متحرفاً عن البرامكة وفيهم يقول :

إن البرامك لاتنفك انجيةً بصفحة الدين من نجواهم ندبُ

تجرمتْ حججٌ منهم ومنصلهم مضرجٌ بدم الإسلام مختضبُ

فلعل هجاءه لهم كان بعد محنتهم تستراً والله أعلم.

---

(١) العفو والاعتذار ٤٤٤/٢، ٤٤٥ لأبى الحسن محمد بن عمران العبدى. تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح ط ١٤٠١هـ — ١٩٨١م جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) زهر الآداب ٦٧٥/٣.

ولايستبعد وضع هذا على لسانه كما روى عنه بعض الأخبار التي يغلب عليها عدم الصحة كقولهم أنه انصرف عن طعام الرشيد وما أمر بإعداده له من فرش إلى أكل الخبز بالتراب والقعود على الأرض والنوم عليها، روى ذلك ابو الفرج الاصفهاني عندما أورد خبر لحاقه بالرشيد وأن الذي أوصله إليه والى الخليفة على الجزيرة (عبد الملك بن صالح) وفي آخر القصة مالا يرتاح إلى صدقه لكونه يفضى إلى سلب العتابى ماعرف به من حسن أدب وعلم ورجاحة عقل لولا ماشاب ذكره من خبر اعتزاله، يقول ابو الفرج[١] :

(كان أخوان من فزارة يخفران قرية بين آمد وسميساط، يقال لها تل حوم، فطال مقامهما بها حتى أثريا، فحسدهما قوم من ربيعة، وقالوا : يخفران هذان الضياع في بلدنا فجمعوا لهما جمعا، وساروا اليها، فقاتلوهما، فقتل أحدهما، وعلى الجزيرة يومئذ عبدالملك بن صالح الهاشمى، فشكا القيسى أمره إلى وجوه قيس، وعرفهم قتل ربيعة أخاه وأخذهم ماله.

فقالوا : اذا جلس الأمير فادخل إليه. ففعل ذلك ودخل على عبدالملك[٢]، وشكا ما لحقه، ثم قال له، وحسب الأمير أنهم لما قتلوا أخى وأخذوا مالى قال قائل منهم :

أشربا ماشربتما إن قيسا ... من قتيل وهالك وأسير

لايجوزون أمرنا مضرى ... بخفير ولا بغير خفير

فقال عبدالملك : أتندبنى إلى العصبية؟ وزبره، فخرج الرجل مغموماً، فشكا ذلك إلى وجوه قيس، فقالوا : لاترع، فوالله لقد قذفتها في سويداء قلبه، فعاوده.

فعاوده في المجلس الآخر، فزبره[٣] وقال له قوله الأول، فقال له: أني لم آتك أندبك للعصبية، وانما جئتك مستعديا، فقال له: حدثني كيف فعل القوم؟ فحدثه

---

(١) الاغانى ١٣/١٢١، ١٢٢، ١٢٣.

(٢) عبدالملك بن صالح بن علي ت ١٩٦هـ ــ ٨١١م أمير عباسي ابن عم الخليفتين السفاح والمنصور أمره الهادي على الموصل، وعزله الرشيد، ثم ولاه المدينة، ومصر ودمشق، ثم سجنه. أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة، فمات في الرقة.

(٣) زبر البئر زبراً أى بناها بالحجارة، والزبر العقل.

وأنشده، فغضب فقال: كذب لعمرى، ليحوزنها. ثم دعا بأبى عصمة أحد قواده فقال: اخرج فجرد السيف في ربيعة، فخرج وقتل منها مقتلة عظيمة، فقال كلثوم بن عمرو العتابى قصيدته التي أولها:

ماذا شجاك بحُوّارينَ[1] من طللٍ ... ودمنةٍ كشفت عنها الأعاصيرُ

يقول فيها :

هذي يمينُك في قرباك صائله ... وصارم من سيوف الهند مشهور

إن كان منّا ذوو إفك ومارقة ... وعصية دينها العدوان والزُّور

فإن منا الذي لايستحث إذا ... حُث الجياد وضمتها المضاميرُ

مستنبط عزمات القلب من فكرٍ ... مابينهنَّ وبين الله معمورُ

يعنى عبدالله بن هشام بن بسطام التغلبى، وكان قد أخذ قوادهم. فبلغت القصيدة عبدالملك، فأمر أبا عصمه بالكف عنهم، فلما قدم الرشيد[2] الرافقة أنشده

---

(١) حُوّارين بالضم وتشديد الواو ويختلف في الراء فنهم من يكسرها، ومنهم يفتحها، و ياء ساكنة، ونون، وحُوّارين من قرىٰ حلب معروفة، وحوّارين حصن من ناحية حمص.
والتي في ناحية حمص تدعىٰ بالقريتين. قال الرّاعي :

أغن بحُوّارين في مُشْمَخِرَّةٍ ... يبيت ضباب فوقها وثلوج

وقال زفر بن الحارث يهجو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط، وكان أشار على عبد الملك بقتل زفر:

نبئت عمرو بن الوليد يسبني ... وعمرو(*) استها للصالحين سبوب

وكل مُعَيْطي، إذا بات ليلة ... إلى شربة بالرقتين طروب

عليك بحوّارين ناسب نبيطها ... فما لك في أهل الحجاز نسيب

وحُوّارين بلدة بالبحرين.

* هكذا في الأصل. وانظر معجم البلدان ج ٢/٣١٥.

(٢) كان نزول الرشيد إلى الرافقة سنة ١٨٠هـ، وهذا يعني تحديد السنة التي لقى فيها الرشيد العتابى.

عبدالملك القصيدة، فقال : لمن هذه؟ فقال : لرجل من بنى عتاب يقال له كلثوم بن عمرو، فقال : ومايمنعه أن يكون ببابنا.

فأمر بإشخاصه من رأس عين، فوافى الرشيد وعليه قميص غليظ، وفروة وخف وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل، فلما رفع الخبر بقدومه أمر الرشيد بأن تفرش له حجرة[1]، وتقام له وظيفة، ففعلوا، فكانت المائدة اذا قدمت إليه أخذ منها رقاقة وملحا وخلط الملح بالتراب فأكله بها، فإذا كان وقت النوم نام على الأرض والخدم يتفقدونه، ويتعجبون من فعله، وسأل الرشيد عنه، فأخبروه بأمره فأمر بطرده[2]. فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلى وهو في منزله فسلم عليه، وانتسب له فرحب له وقال له : ارتفع — فقال لم آتك للجلوس قال : فما حاجتك؟ قال : دابة ابلغ عليها إلى رأس عين، فقال : ياغلام اعطه الفرس الفلاني. فقال لاحاجة لى في ذلك، ولكن تأمر أن تشترى لى دابة اتبلغ عليها. فقال لغلامه : امضى معه فابتع له مايريد فمضى معه فعدل به العتابى إلى سوق الحمير، فقال له : انما أمرنى أن ابتاع لك دابة، فقال له : أنه أرسلك معى ولم يرسلنى معك، فإن عملت ما أريد وإلا أنصرف. فمضى معه فاشترى حمارا بمائة وخمسين درهما : وقال : ادفع ثمنه، فدفع إليه فركب الحمار عريا بلا مرشحة عليه وبردعه، وساقاه مكشوفتان، فقال له يحيى بن

---

(١) وهذا كان شأن الرشيد في الرقة فقد سبق أن فرش لربيعة الرقي غرفة ومكاناً في قصره..

(٢) هذا النص يحمل على عدة وجوه :
الأول أنه تجن على العتابي ونظرة شعوبيّة، لاسيا أن النص وليد العصر الذي شهد هجمة شعوبية كبيرة في كل منحى من مناحي الحياة. والثاني أنه رد فعل مقصود من العتابي لما رآه في القصر الرشيدي من ترف وزينة وزخرف وثراء فاحش، وبذخ دائم للأعاجم منه النصيب الأكبر، ولهم فيه وجوه عجيبه وأفعال غريبة، فكان هذا الفعل لابد أن يولّد رداً عند العتابي العربي الأصيل الذي لايريد لنمط العيش الأعجمي أن يتغلّب على سلوك العرب وحياتهم.
ووجه ثالث نذهب فيه إلى تصوير شعوبي مقصود للعتابى من بعض الكتاب للإقلال من شأنه، وإظهاره بمظهر الأعرابي السوقة. وسهل بن هارون وحده الذي كان كاتب يحيى بن خالد البرمكي، وخازن دار الحكمة أيام المأمون، أقول سهل هذا وحده كان مركز إعلام شعوبي كبير وكان مركزه يؤهله لتشويه أعمال الأدباء العرب، ولم يكن يخفي شعوبيته، أو يتخذ لها تقيه، وقد ذهب صاحب الفهرست إلى القول بأنه شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب، وأنه ألف كتباً كثيرة في هذا. (والفهرست ص١٧٤) ولم يكن العتابي إلا ابن بيئته فهو ابن الخضرة والجمال والأنهار والطبيعة الخلاّبة، كما أنه ابن الكتاب وابن الحكمة، وابن الكلمة، وما كان ابن الكلمة الحكيمة إلا حكيماً.

سعيد : فضحتنى أمثلى يحمل مثلك على هذا؟ فضحك وقال : مارأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك. ومضى إلى رأس عين).

وفي القصة ذكر قصيدته الرائية التي ذكر ابو الفرج نفسه أنها كانت في الرشيد عندما عتب على العتابى حين خرج الوليد بن طريف التغلبى ــ من قوم العتابى ــ على الخلافة فأعتذر العتابي إلى الخليفة بهذه القصيدة وهذا هو قول الاصفهانى(١): (عتب الرشيد على العتابى أيام الوليد بن طريف، فقطع عنه أشياء كان عوّده إياها فأتاه متنصلاً بهذه القصيدة :

ماذا شجاك بحوارين من طلل ... ودمنة كشفت عنها الأعاصير

شجاك حتى ضمير القلب مشترك ... والعين انسانها بالماء مغمور

....

ثم أن العتابى أكثر من الشفعاء به عند الرشيد حتى أنه لم يجد من يقوم بالمهمة فرأى بأنه لابد من أن يختفى و يدخل على الرشيد.

أخبرنى الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثنا عبدالله بن سعد عن ابراهيم بن الحدين، قال : وجد الرشيد على العتابى فدخل سرا مع المتظلمين بغير اذن، فمثل بين يدى الرشيد، وقال له : ياأمير المؤمنين قد آذتنى الناس لك ولنفسي فيك وردنى ابتلاؤهم إلى شكرك، وما مع تذكرك قناعة بغيرك، ونعم الصائن لنفسي كنت، لو أعاننى عليك الصبر، وفي ذلك أقول :

أخِضْنى المقام الغمْر أن كان غرّنى ... سناخُلَّبٍ أو زلّتِ القدمانِ

أتتركني جدب المعيشة مقترا ... وكفاك من ماء الندي تكفان

وتجعلني سهم المطامع بعدما ... بللت يمينى بالندى ولسانى

---

(١) الاغانى ١٣/١٢٤.

قال : فأعجب الرشيد قوله، وخرج وعليه الخلع، وقد أمر له بجائزة، فما رأيت العتابى قط أبسط منه يومئذ).

فلعل الخبر روى بوجهيه لصاحب الأغاني فأورد الروايتين على ماهما عليه. ومثل هذا الاضطراب كثير فيما أورد صاحب الأغاني وغيره، غير أن القصة الثانية تشتمل على شيء من التفصيل يرجح صحتها.

وتشتمل الأولى على أقوال في وصف حال العتابي ترجح وضعها والله اعلم.

٧ ـ اتصاله بالمأمون :

وكان إقبال المامون عليه أكثر من اقبال أبيه، وربما كان لاعتزاله ـ إن صح ـ يد في ذلك، فلقد صحب المأمون قبل الخلافة، ووفد عليه حين بويع خليفة فأكرم مثواه واثنى عليه وكان قد طلب منه الوفود عليه إن ولي أمر المسلمين، ولعل أتم خبر في ذلك مارواه الحصرى[1] حيث قال :(وكان يميل إلى المأمون فلما خرج المأمون إلى خراسان شيّعه حتى وصل معه إلى سندان كسرى، فقال له المأمون : سألتك بالله ياعتابى إلا عملت على زيارتنا إن صار لنا من هذا الأمر شيء. فلما ولى المأمون الخلافة، ودخل بغداد سنة أربع ومائتين توصل إليه العتابى، فلم يمكنه الوصول، فقال للقاضي يحيى بن أكثم[2] : إن رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكانى! فقال : لست بحاجب! قال: قد علمت، ولكنك ذو فضل، وذو الفضل مِعْوان! فقال : سلكت بى غير طريقي! قال : إن الله تعالى ألحقك بجاهٍ ونعمة، وهما يقيمان عليك بالزيادة إن شكرت، والتغيير إن كفرت، وأنا اليوم لك خير منك لنفسك؛ أدعوك لما فيه زيادة نعمتك، وأنت تأبى ذلك، ولكل شيء زكاة، وزكاة الجاه بذله للمستعين.

فدخل يحيى على المأمون، فقال أجرنى من لسان العتابى، فلها عنه، ولم يأذن له، فلما طال عليه كتب إليه :

(١) زهر الآداب. تحقيق البجاوي ٦٢١/٢، ٦٢٢.

(٢) توفي سنة ٢٤٢هـ فقيه من الكبار ولد بمرو، وتوفي في الربذة ولي قضاء البصرة وعمره عشرون عاماً، قاضى قضاة بغداد أيام المأمون عزله المتوكل.

مـاعـلـى ذلك افـتـرقـنا بـسـنـدا ن ولاهــكــذا عــهــدنــا الإخـــاء

لم أكـن أحـسـب الخـلافـة يـزدا دبهـا ذو الـصـفـاء إلا صـفـاء

تـضـرب الـنـاس بـالمـثـقّـفـة السُّمـ ـر عـلـى غـدرهـم وتـنـسـى الـوفـاء

يعرِّض بقتله لأخيه على غدره، ونكثه لما عقد الرشيد. فلما قرأ المأمون الأبيات أمر أن يُدخَل عليه. فلما سلم قال : ياعتابى، بلغتنى وفادتك فسرتنى، وقد كانت بلغتنى وفاتك [1] فساءتنى، وإنى لحرىّ بالغم لبعدك، والسرور بقربك! فقال : ياأمير المؤمنين، لو قسم هذا الكلام على أهل الأرض لوسعهم عدلاً، وأعجزهم شكراً، وإن رضاك لغاية المنى، لأنه لادين إلا بك ولادنيا إلا معك. قال : سلنى، قال : يدك بالعطية أطلق من لسانى بالمسألة، فأمر له بخمسين ألفا).

وقد ذكرنا صدر هذا الخبر في حديثنا عن تحرى تاريخ مولده، وروى آخرها على غير هذا الوجه عند أبى الفرج الأصفهانى حيث ذكر أن المأمون طلب اشخاصه إليه بعدما ولي الخلافة وذكر آخر الخبر وكان قد بلغ المأمون خبر بوفاة العتابى ثم ثبت له أن الخبر مكذوب.

وروى ابو الفرج خبر زيارة أخرى ربما أوحت بعدم مبالاة المأمون بالعتابى بادىء ذي بدء، لكنه مالبث أن عاد إلى تكريمه وتعظيمه، قال ابو الفرج [2] :

(لما قدم العتابى مدينة السلام على المأمون، أذن له، فدخل عليه وعنده اسحاق ابن ابراهيم الموصلي. وكان العتابى شيخا جليلا نبيلا، فسلم فرد عليه وأدناه، وقربه حتى قرب منه، فقبل يده : ثم أمره بالجلوس فجلس، وأقبل عليه يسأله عن حاله، وهو يجيبه بلسان ذلق طلق، فاستظرف المأمون ذلك. وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح،

---

(١) هذا النص يقوي ماذهبنا إليه من وجود عداء شعوبي واضح بالنسبة للعتابى، خاف على الخليفة، وإلا فمن الذي أخبر الخليفة بوفاته؟
إنهم الفرس الذين يحيطون به....
وقول العتابي : إن رضاك لغاية المنى، يدل على استصغاره لأولئك الذين أشاعوا عند الخليفة أنه مات.

(٢) الاغانى ١١١/١٣، ١١٢.

فظن الشيخ أنه استخف به، فقال : ياأمير المؤمنين : الايناس قبل الابساس. فاشتبه على المأمون قوله،فنظر إلى اسحاق مستفهما فأوما إليه وغمزه على معناه حتى فهم، فقال : ياغلام، الف دينار، فأتى بذلك، فوضعه بين يدى العتابى. وأخذوا في الحديث، وغمز المأمون اسحاق ابن ابراهيم عليه. فجعل العتابى لايأخذ في شيء الا عارضه فيه اسحاق، فبقى العتابى متعجبا، ثم قال : ياأمير المؤمنين أتأذن لى في سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟ قال نعم، سل. فقال لاسحاق ياشيخ من أنت؟ وما اسمك؟ قال : أنا من الناس، واسمى كل بصل، فتبسم العتابى وقال : أما أنت فمعروف، وأما الأسم فمنكر. فقال اسحاق : مأأقل انصافك، اتنكر أن يكون اسمى كل بصل؟ واسمك كل ثوم، وكل ثوم من الاسماء، أوليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتابى : لله درك فما أحجك، أتأذن لي ياأمير المؤمنين في أن أصله بما وصلتنى به؟

فقال له المأمون : بل ذلك موفر عليك وتأمر له بمثله. فقال له اسحاق : اما اذا قررت بهذا، فتوهمنى تجدنى، فقال ما أظنك الا اسحاق الموصلى الذي تناهى الينا خبره، قال : أنا حيث ظننت. وأقبل عليه بالتحية والسلام. فقال المأمون، وقد طال الحديث بينهما : أما اذا اتفقتما على المودة فانصرفا متنادين. فانصرف العتابى إلى منزل اسحاق فاقام عنده).

ولعل في حكمته ورجاحة عقله، وسعة علمه، وحسن محادثته ومحاورته ما جعل المأمون كثير الاحتفاء به عظيم التقدير له إلى حداً جعله ينهضه بنفسه حين صعب القيام عليه بعد ماطعن في السن، يقول الاصفهانى [1] :

(رأيت العتابى جالساً بين يدى المأمون وقد أسن، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده واعتمد الشيخ على المأمون، فما زال ينهضه رو يدا رو يدا حتى اقله فنهض، فعجبت من ذلك، وقلت لبعض الخدم: ما أسوأ أدب هذا الشيخ، فن هو؟ قال : العتابى).

---

(١) الاغانى ١١٦/١٣.

٨ ــ العتابى وتلميذه منصور النمري :

تعظـم اساءة المنصور النمرى إلى العتابى حين نعلم أنه كان استاذه الذي تلقى عليه النمرى العلم والأدب وكان يشمله بإحسانه، وصدق المثل [(١)] : اتق شر من أحسنت إليه، ولهذا شواهد في المتقدمين والمتأخرين، ولقد روى الاصفهانى [(٢)] من خبرهما قوله :

(شكا منصور النمرى العتابى إلى طاهر بن الحسين، فوجه طاهر إلى العتابى، فاحضره، وأخفى منصوراً في بيت قريب منها، وسأل طاهر العتابى أن يصالحه، فشكا سوء فعله به فسأله أن يصفح عنه، فقال : لايستحق ذلك. فأمر منصوراً بالخروج، فخرج وقال للعتابى : لم لا استحق هذا منك؟ فأنشأ العتابى يقول :

أصحبتك الفضل إذ لا أنت تعرفه   حقاً ولا لك في استصحابه أرب

لم ترتبطك على وصلى محافظة   ولا أعاذك مما اغتالك الأدب

ما من جميلٍ ولاعرفٍ نطقت به   إلا إلىّ وإن أنكرت ينتسب

قال : فاصلح طاهر بينهما ــ وكان منصور من تعليم العتابى وتخريجه ــ وأمر طاهر للعتابى بثلاثين الف درهم).

وكنا ذكرنا سلفاً خبر وشاية النمرى بأستاذه العتابى عند الخليفة هارون الرشيد.

٩ ــ العتابى وآل طاهر بن الحسين :

وصحب العتابى طاهر بن الحسين وابنيه عبدالله [(٣)] ومحمد وله معهما أخبار، وأكثر مدحه كان في عبدالله كما روى صاحب الأغانى [(٤)] ومنه قوله :

(١) قلت المثل لأنه ثبت أنه حديث موضوع.

(٢) الاغاني ١١٨/١٣.

(٣) وهو الذي قضى على ثورة نصر بن شبث العقيلي أيام المأمون.

(٤) الأغانى ١١٦/١٣، ١١٧.

(دخل العتابى على عبدالله بن طاهر، فمثل بين يديه، وأنشده :

حُسن ظنى وحسنُ ماعوّد اللـ ـــهُ سواى منك الغداة أتى بى
أى شيء يكون أحسن من حُسـ ـن يقينٍ حدا إليك ركابى

قال : فأمر له بجائزةٍ، ثم دخل عليه من الغد، فأنشده :

ودكُّ يكفينيك في حاجتى ورؤيتى كافيةٌ عن سؤال
وكيف أخشى الفقر ماعشت لى وإنما كفّاك لي بيت مال

فأمر له بجائزة، ثم دخل في اليوم الثالث، فأنشده :

بهجات الثِّيابِ يُخلقها الدهـ ـرُ وثوبُ الثناء غضٌ جديدُ
فاكسُنى مايبيد أصلحك اللـ ـهُ فالله يكسُوك مالا يبيدُ

فأمر له بجائزةٍ، وأنعم عليه بخلعةٍ سنيّةٍ).

ومن ذلك حكايته مع محمد بن طاهر وقد سلفت [١].

وتوفى العتابى سنة ٢٢٠هـ [٢] فإذا افترضنا أنه التقى ببشار مابين سنتى ١٤٠، ١٥٠ فإنه يكون قد بلغ من العمر قرابة تسعين.

١٠ ـ أخبار مشكوك فيها :

ويبدو أن أخبار العتابى قد نالها شيء من الخلط، وربما الكذب، ولا أعنى بالخلط اختلاف الروايات في اللفظ وتقاربها في المعنى بل اعنى ماهو ابعد من ذلك.

فهم يصفونه بالجلالة وعلو الكعب في العلم والأدب كما مر بك، ثم يصفونه بنوع

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ٨٧.
(٢) فوات الوفيات ٢١٩/٣.

من الزهد والتقشف كأكل الخبز بالملح المخلوط بالتراب وامامه مائدة الخليفة، و يقعد على الأرض و ينام عليها.

وقد هيىء له السر ير والفراش الوثير، و يرفض الحصان و يطلب الحمار، و يكفر نعمة المنعم عليه بقوله ليحيى بن سعيد العقيلى الذي أمر له بحصان فرفضه واختار حماراً فلما لامه يحيى على ذلك قال له: «فضحتني» قال العتابى : مارأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك، وقد اسلفنا الخبر.

و يصفونه بعدم المبالاة في لبسه واحوال معيشته، واحتقاره الناس ومخالفة ماتعارفوا عليه من العادات كالأكل على قارعة الطر يق مثلا وذلك فيما رواه ابو الفرج الاصفهاني[1] حيث قال :(حدثنا عثمان الوراق، قال : رأيت العتابى يأكل خبزاً على الطر يق بباب الشام، فقلت له : ويحك، أما تستحى؟ فقال لى : أرأيت لوكنا في دار فيها بقر كنت تستحى وتحتشم أن تأكل وهي تراك؟ فقال : لا. قال : فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر. فقام فوعظ وقص ودعا، حتى كثر الزحام عليه.

ثم قال لهم روى لنا غير واحد، أنه من بلغ لسانه أرنبة انفه لم يدخل النار. فما بقى واحد إلا وأخرج لسانه يومىء به نحو أرنبة أنفه، و يقدّره حتى يبلغها أم لا. فلما تفرقوا، قال لى العتابى : ألم أخبرك أنهم بقر؟) وهذه صفات لا تتفق وسجايا العلماء والأدباء.

١١ ــ العتابى وزوجــه :

وذكروا أن العتابى كان يترفع عن طلب المال وبذل ماء الوجه في سبيله، وأن امرأته لامته على ذلك وذكرت في لومها تلميذه النمرى وكيف أنه يعيش هو وأهل بيته في نعيم ورخاء من العيش، قال الاصفهاني[2] :

(وكانت تحته امرأة من باهله، فلامته، وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ

(١) الاغانى ١١٤/١٣.
(٢) الاغانى ١٢٣/١٣، ١٢٤.

الأموال فحلى نساءه، وبنى داره، واشترى ضياعاً، وأنت هاهنا كما ترى، فأنشأ يقول:

تلوم على ترك الغنى باهلية زوى الفقر عنها كل طرفٍ وتالد
رأت حولها النّسوانَ يرفُلنَ في الثرا مقلدةً أعناقُها بالقلائد
اسرّك أني نلت مانال جعفر من العيش أو مانال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصّني مُغصَّهما بالمشرقات البوارد
رأيت رفيعات الأمور مشوبةً بمستودعاتٍ في بطون الأساود
دعيني تجئني ميتتي مطمئنة ولم أتجشم هول تلك الموارد)

هذا ملخص لنظرية كثير من الناس ممن يرون سعادتهم في بعدهم عن الحاكم، وبعد الحاكم عنهم، كما أنها نظرية في ترك الطموح والقناعة والزهد بما هو قادر عليه، وهو يقدّم لنا لوحة فنيّة من الأدب الواقعي مما يعرف باسم الواقعية النقدية. ويصوّر ماجرى بينه وبين زوجه، من خصام وملامة، فهي تراه مذنباً ومقصراً لتركه أسباب الغنى، وهو يراها مندفعة تحت تأثير العاطفة، عاطفة الحاجة، وعاطفة الغيرة، وعاطفة المرأة الخاصة بحب الجاه والمال، والتباهي والتفاخر.

ولكنه مشدود إلى العقل والاتزان فيكشف لها شيئاً من حقيقة الأمر فما معنى أن ينال الغنى وما إليه، ثم يحل به ماحل بجعفر أو يحيى بن خالد، وكأنه يعوذ بالله من فُجاة النقمة، وزوال النعمة قبل أن تصير إليه.. مامعنى أن يكون في منزلتها، وفجأة يغِصّه أمير المؤمنين مغصّهما، فتزول النعمة وتبقى النقمة ويمنح لها من مدرسة الأيام، فيرى أن الأمور العالية مختلطة بما يكدرها، وسرعان ماتفضى المسرات إلى الأحزان.

ويلخص لها حياته، إلى أن يرسم الصورة المثالية التي يريدها لموته، فهي ميته هادئه، بعيدة عن الأضواء، بعيدة عن مثيلاتها مما حدث للبرامكة.

وأكاد أجزم أنه لوكان يؤرخ لكل قصيدة يقولها، لعرفنا أن هذه القصيدة، جاءت بعد نكبة البرامكة مباشرة. إذ أن رائحة الحادثة تشتم بشكل جلي وقوي من قوله، وهو عندنا غير صادق لافنياً، ولا تاريخياً، كيف لا وهو القائل :

حتى متى أنا في حلٍّ وترحال وطول شغل بإدبار وإقبال

ولو قنعت أتاني الرزق في دعةٍ إن القنوع الغنى، لاكثرة المال

وإذاً فقصيدته لزوجه لا تؤخذ على محمل الصدق التاريخي، إنها وليدة موجة من الخوف عمّت كل أولئك الذين تفتح لهم أبواب الخليفة والأمراء وكبار رجال الدولة نتيجة ماحلّ بالبرامكة، فلكل شيء نقصان إذا ماتم والحذر الحذر.. وهذا ما أظهر الأمر وكأنه تناقض أو خلط في شخصيته.

وذكروا أيضاً الحاحه في الطلب وتردده على عبد الله بن طاهر بن الحسين ثلاث مرات في ثلاثة أيام كلها يجيزه فيها، وقد سلف [1].

ونقلوا عنه تجنبه مدح الخلفاء ورفضه ذلك بقوله [2] : (فقد قيل له : لم لا تقصد السلطان فتخدمه، فقال : لأني أراه يعطى واحدا بغير حسنة ولا يد، و يقتل الآخر بلا سيئة ولاذنب، ولست أدرى أى الرجلين أنا، ولست أرجو منه مقدار ما أخاطر به).

وفي شعره مدح للرشيد والبرامكة، وعبدالله بن طاهر وغيرهم، غير أن مدحه في جملته لم يبلغ حد الاستجداء إلا ما كان من تردده على عبدالله بن طاهر ثلاث مرات في ثلاثة أيام متواليات، ثم أنه لم يمدح إلا ذوى الشأن الكبير.

---

(١) الاغانى ١١٢/١٣.

(٢) محاضرات الراغب الاصفهانى ٩٢.

١٢ ـ وصفه بالاعتزال :

و يصفونه بالاعتزال بمثل مارواه الجهشيارى ـ فيما سلف ـ وماذكره ابن المعتز في طبقات الشعراء[١] بقوله : (ماسمعت كلاماً قط لأحد من المتكلمين أحسن من كلام العتابى).

و يستعينون على ذلك كله برواية هذه الأبيات عنه[٢] :

إنى لاخفى من علمى جواهره ... كى لاير العلم ذو جهل فيفتتنا
ورب جوهر علم لو ابوح به ... لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال دينون دمى ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا
وقد تقدم في هذا ابو حسن ... أوصى حسينا بما قد خبر الحسنا

ثم ينفون عنه الاعتزال والضعف في الدين بمثل ما أورده ابو حيان التوحيدى[٣].

(وحدثني العتابى : قال : الرجل لادين له، سمعته يقول في الخلوة، وقد جرى حديث المذهب، كيف أنزل عن هذا المذهب ـ يعني الاعتزال ـ وقد نصرته وشهرت به نفسى، وعاديت الصغير والكبير عليه، وانقضى عمرى فيه. قلت للعتابى : ومن أين وقع في هذا الالحاد؟

فقال : لم يزل مترجحا، قليل الطمأنينة، سيء اليقين، ولكن أهلكه مقعده الذي يقال له النصيبى ابو اسحاق).

ومثل هذا الخلط كثير في أخبار السلف إذ كان من السهل على من لايتحرج في الرواية أن يتهم من لايرضى عنه بالزندقة، أو الاعتزال، أو المجون أو نحو ذلك.

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦٢.
(٢) تاريخ بغداد ١٢/٤٨٩.
(٣) مثالب الوزيرين ١٩٦.

أما مقالات المتأخرين[1] فلم التفت اليها هنا بل رجعت إلى مارجعوا إليه من كتب السلف.

و ينسبون إليه تفضيل العجم على العرب في باب المعانى مع كونه عربى الارومة من قوم ظهرت في سيرهم العصبية القبلية.

فلقد روى عن يحيى بن الحسن بن علي بن معاذ كلام جاء فيه :

(قال : قلت أبا عمرو، لم أكتتبت كتب العجم، فقال لى : وهل المعانى الا في كتب العجم والبلاغة؟ اللغة لنا والمعانى لهم).

ومعلوم ماللنزعة الشعوبية المتسلطة في تلك الأيام من يدٍ في الوضع والنحل فلا يستبعد أن يكون هذا من ذاك.

ومنه أنهم رووا له شعراً في مدح البرامكة وذكروا أنه كان لديهم من المقربين، كما رووا له في هجائهم ابياتاً، فكيف يمدحهم على إحسانهم إليه واستنقاذهم إياه من القتل، ثم يعود فيهجوهم؟ اللهم إلا إذا كان قد أراد بذلك النجاة مما قد يصيبه بعد نكبتهم. والله اعلم.

ومثلما صحب العتابى الخلفاء والوزراء والأمراء صحب أيضاً العلماء والشعراء آخذاً ومستر شداً، ثم معلما وموجها، وكانت له مع هؤلاء وأولئك أخبار وحكايات روى منها ماروى مما سنورده في حديثنا عن شعره ــ إن شاء الله ــ غير أن الأخبار التي رو يت عن العتابى وحياته كانت قليله جداً إذا ماقيست بمكانة الرجل ومنزلته.

وكما قل الخبر عنه، قل ماروى من أدبه المنظوم والمنثور، وما أظن الشهرة سبب ذلك كما ادعى بعضهم، بل ربما قوة المنافسة لأن الرجل قد جمع الفضل من اطرافه فهو عالم، وراو ية، وخطيب، وكاتب وشاعر، ونديم وكل واحدة من هذه موجبه للحسد، وداعية إلى أن ينفث عليه أهل عصره ممن لهم سبب بشيء من ذلك.

---

(١) من هؤلاء د. شوقى ضيف الذي حكم باعتزال العتابى في كتابه العصر العباسي الأول وعلى علم الاستاذ الدكتور ضيف، فإنه لم يوفق بالحديث عن أدباء الجز يرة الفراتية كما وفق في غيرهم.

ثم إن عزلته وتنسكه في آخر حياته من أهم العوامل المساعدة على نسيانه ونسيان خبره.

الفصل الثالث
شعر العتابي

١- أدب العتابي ونتاجه
٢- هل كان العتابي تابعاً لبشار؟
٣- براعة العتابي في التصوير الفني
٤- أقوال العلماء والنقاد في شعر العتابي ووقفة عند البديع
٥- العتابي، والنمري، والنواسي

أدب العتابي ونتاجه :

١ ــ إن الناظر فيما رواه (ابن النديم) [1] من اسماء مؤلفات العتابي يجده أمام عالم في المنطق والكلام واللغة والآداب، فقد ذكر له صاحب الفهرست كتاب المنطق، وكتاب الآداب، وكتاب فنون الحكم، وكتاب الخيل، وكتاب الألفاظ الذي رواه أبو عمر الزاهد عن المبرد. وله كتاب الأجواد [2].

والناظر فيما روت كتب الأدب والتاريخ من شعره يجده شاعراً فحلاً يطاول بشار ابن برد وأمثاله، ويجد فيما روته من نثره نصوصاً تشهد بأنه كاتب بارع، وخطيب بليغ، وناقد فاحص دقيق النظرة عميق الفكرة.

كما يجد أنه أمام شخصية فريدة تعشق العلم وتهوى الأدب وتنزع بصاحبها عن مواطن الذل ومساقط الهوان، وذلك ماحبَّبَ الخلفاء والوزراء والامراء في العتابى ومجالسه وأحاديثه، ألم يقل خالد بن يحيى البرمكي لبنيه (إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابي فضلاً عن رسائله وشعره فلن تروا أبدا مثله) [3]. وذلك لما كان يتحلى به من علم وأدب وحسن محادثة.

ورجل هذا شأنه لابد من أن يكون قد نظم كثيراً، وكتب كثيراً، وتكلم كثيراً، غير أن ضياع ماذكره ابن النديم من مؤلفاته، ــ وربما ما لم يذكره ــ حرمنا من معرفة أوسع بهذا الرجل الذي اثنى عليه العلماء من اهل عصره ومن أتى بعدهم.

صحيح أنه قد اتهم بأشياء منها (الاعتزال) لكن ماورد في ذلك من خبر لايقوم حجة في هذا كما أسلفنا.

وسنحاول في هذا المبحث دراسة شعر العتابى، وسنحاول الاقلال من الشواهد لكوننا سنقدم ماعثرنا عليه من نصوص شعره كاملة إن شاء الله.

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ١٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر الاغانى ج ١٣ ص ١١٤.

٢ ــ تقلبت الاحوال بالعتابى وتقاذفته صروف الدهر فأحلته محله تارة، وتارة أخرى انزلته في غير منزلته، فتلون شعره بأصداء الظروف والملابسات يدفع به الشر حيناً، وحيناً يستجلب به الخير، أو يفرغ لنفسه فيه فيودعه مايمور في حسه وشعوره، وتجيش به عاطفته، أو يفيض به عقله، فيرصد ذلك في شعر فاض به الطبع القويم، وهذبه الذوق السليم ونسجته البلاغة العربية الأصيلة فجاء وقد اشتمل من الجزالة والفخامة على كل مايصبو إليه من يعشق هذا.

ومن هنا لم يكن غريباً أن يطرق العتابى اغراض الشعر الشريفه فلقد نظم في النصح والإرشاد وفي الإخوانيات، والاعتذار، والاستعطاف، والعتب، وفي المدح، والهجاء، والوصف، والغزل، وما إلى ذلك مما شاع في زمانه إلا ماكان من اغراض تنبذها اخلاق العلماء، وترفضها اذواق المهذبين الفضلاء مما نظم فيه سلم، وأبو نواس وأمثالها.

فهل نستطيع إضافة شيء إلى صورة شعره كما تجلوها نصوصه؟ ذلك مانرجو أن نوفق إليه، فإن لم يكن ذلك، فحسبنا انا حاولنا تذوق شعره بقدر ما أتينا من العلم والفهم.

٣ ــ ذكر ابن النديم أن للعتابى ديوانا في مائة ورقة[١]، (وله راوية هو محمد ابن موسى الضبى نديم عبدالله بن طاهر)[٢]

والذي جمعناه من شعر العتابى يبلغ عدد ابياته ٢٩٣ بيتاً، وهو قدر يسير إذا قيس بشهرة العتابى في ميدان الشعر، ومع ذلك فقد شغل هذا القليل قدراً حسناً من صفحات كتب التراث، وكانت هذه الأبيات ميدان نظر ودراسات وتعليقات تعطى صورة جيدة عن اهتمام العلماء بما اشتمل عليه شعر العتابى من صور جمالية، ونكات بلاغية إلى مافيه من اصالة اللغة وجزالة التعبير، وجمال التصوير، ولا أدل على ذلك من حسد (بشار) له وضغنه عليه خوفاً من أن يَبُذّهُ بشعره، وبشار صاحب معرفة جيدة بأساليب العرب ومذاهبهم في الكلام.

(١) انظر الفهرست ص ٢٣٨.

(٢) انظر الاغانى ج ١٨/ص ٥٦.

لقد وفد العتابى على البصرة، وكان من المعجبين بشعر بشار متتلمذاً عليه به فقصده وهو في سوق المربد وجلس إليه ثم أنشده[1] :

أيصدف عن أمامةَ أم يقيم ... وعهدُك بالصِّبا عهدٌ قديمُ
أقول لِمُستعارِ القَلبِ عَفِّى ... على عَزَماته السّيرُ العديمُ[2]
أما يكفيكَ أن دموعَ عينى ... شآبيبٌ يفيض بها الهموم[3]
أشِيمُ فلا أردُّ الطرف إلاّ ... على أرجائِه ماءٌ سَجُوم[4]

قال : فمد بشار يده إليه : ثم قال له : أنت بصير؟ قال : نعم. قال : عجباً لبصيرٍ ابن زانيةٍ، أن يقول هذا الشّعر. فخجل العتابى وقام عنه.

وفي هذه القصيدة تظهر المؤثرات العقلية والمعطيات الفكرية أكثر من المؤثرات النفسية. وألفاظها تدل على نضج وقوة، فهي جزلة في غرض رقيق، وفيها أسلوب المناقش، يستنكر شيئاً يقوله، ثم يلجأ إلى الدليل الحسي يستشهد به على صبابته، وفي جانب الأسلوب يظهر التأثر القرآني منذ بدايات نتاجه الشعري واضحاً، انظر إلى قوله (أرد الطرف) واسمع قوله تعالى :**(أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)**[5]، **(لايرتد إليهم طرفهم)**[6]

ولنعد إلى مقابلة بشار للعتابى... لنتساءل ماهذا الموقف الذي يقفه منه، إنه واضح مملوء حقد وشعوبيه، وقد جبن أن يقول له أنت عربي أم أعجمي، ولاشك أن الموقف ليس كما جاء في النص مبتوراً، فليس من المعقول أن يأتي العتابي، فيقف

(١) الاغاني ١٣/١١٣.
(٢) عفي : طمس.
(٣) الشآبيب : المياه المنصبة، جمع شؤبوب.
(٤) أشيم : أنظر، وأصله أن يشيم البرق ينظر أين يقصد وأين يمطر. السجوم : الكثير.
(٥) سورة النمل/ ٤٠.
(٦) سورة إبراهيم/ ٤٣.

أمام بشار في سوق المربد، وينشده، فيقول له بشار ماقال : لاشك أنه قدم إليه، فتعرف عليه، ثم راح ينشده أمام الناس إنه جمع، وإنه في سوق المربد، وإن سوق المربد مجمع الناس وملتقى الشعراء، والحاضرة بالبادية..

ولكن بشاراً ذهل أمام هذه القصيدة.. ويدّعي عجبه من بصير يقول هذا الشعر، في الوقت الذي كان فيه شعراء الشعوبية يشنون حملتهم على العرب وعاداتهم وتقاليدهم إلى آخر ماحملوه وشنعوه. وقبل أن أترك هذه النقطة، لابد من القول بأن القاء القصيدة بين يديه لايعد تتلمذا عليه.

هل كان العتابي تابعاً لبشار؟

٤ ـ (أ) والمتحدثون عن شعر العتابي يحرصون على تلمس صور البديع في شعره لا لشيء إلا ليؤكدوا امرين الأول تبعية العتابي لبشار في هذا الفن والثاني أن هذا الفن مما جد في العصر العباسي.

فأما أن العتابي تتلمذ على بشار في شعره واحتذي فنه في تجويد الكلام وتهذيبه، وفي الحرص على أن يكون صورة من الشعر العربي الأصيل، فمع أن الأخبار لم ترو جلوسه إليه إلا مرة واحدة فإن تشابه منازعهما ومواردهما في اللفظ والصياغة، وفي المعانى إلا قليلها فيه دليل قوى على احتمال احتذاء العتابى أسلوب عصره لا اسلوب بشار.

وأما أن البديع فن جديد في العصر العباسي، فقول باطل رده ابن المعتز في (البديع) : جاء في أول كتاب البديع دحض لهذه الأقوال وبين ابن المعتز أن بشاراً ومسلماً والعتابي وأبا نواس، ومن حاكاهم وسلك مسلكهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، وقال :«ثم إن حبيب بن أوس الطائى من بعدهم شغف به حتى غلب عليه... وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع»(١).

(١) البديع، ابن المعتز ص ١ ولنا عودة عن هذا النص بعد قليل.

وهي قضية لها نظائر عند المبالغين في إثبات التجديد في كل شيء في العصر العباسي. ومنه في حديثهم عن العتابي محاولة ربطه بالبادية، وإضفاء الشملة البدوية على حياة العرب تجده عند كثيرين من الباحثين المتقدمين والمتأخرين. ومنطلق ذلك من امرين أولهما أن الرواة من المتقدمين أكثروا من ذكر الاعراب وكثر عندهم وصف عرب الجزيرة بذلك لأنهم كانوا يقصدون الاعراب لأخذ فصيح اللغة من افواههم، ولم يكن للبيئات المتحضرة نصيب عندهم يدنو من نصيب الاعراب في الذكر.

والثاني أن المستشرقين حرصوا ــ من أقدم ايامهم ــ على أن يصوروا العرب في صورة بدو رحل لا تربطهم بأسباب الحضارة والمدنية أيسر الروابط وقصدهم من ذلك محاولة انتقاص الإسلام والمسلمين (وللبهبيتى) في ذلك أحاديث حسنة.

وقد آن أن تصحح هذه المفاهيم.

والعتابي عاش في بيئة جميلة وعظيمة علمياً وطبيعياً، وقد مر ذكر ذلك، وبيان البيئة الطبيعية والثقافية التي عاش فيها العتابى، وهل الإنسان إلا ابن مورّثاته وابن بيئته!...

ب ــ وينظرون فيما تشابهت فيه الاقوال وتواردت عليه الخواطر فيسمونه حيناً سرقه، ويتلطف بعضهم فيسميه أخذ، ومنه عند العتابى فيما يزعمون قوله :

في ناظريَّ انقباضٌ عن جُفُونِها وفي الجُفُونِ عن الآماقِ تقصير

قال المرزبانى : (وإن من أشعر شعر العتابى لقصيدته التي يمدح فيها الرشيد وأولها:

ياليلةً لى بحُوَّارينَ ساهرةً حتى تكلَّمَ في الصبح العصافير

فقال فيها :

في مَآقىَّ انقباضٌ عن جفونها وفي الجفونِ عن الآماق تقصير

وهذا بيتٌ أخذه من قول بشار الذي أحسن فيه غاية الإحسان وهو قوله :

جفت عينى عن التغميض حتى   كأنَّ جفونها عنها قِصَار

فسخه العتابى، على أن بشاراً قد أخذه من قول جميل :

كأن المحبَّ قَصِيرُ الجفونِ   لطول السُّهاد ولم تقُصرِ

إلا إن بشاراً قد أحسن في أخذه، ولم يبلغ جميلاً، وجاء هذا إلى المعنى قد تعاوره شاعران محسنان مقدّمان وأحسنا فيه، فنازعهما إياه فأساء، وحقٌّ من أخذ معنى وقد سُبق إليه أن يصنعه أجود من صنعة السابق إليه أو يزيد فيه عليه يستحقه، فأما اذا قصر عنه فإنه مسيء معيب بالسرقة مذموم في التقصير)[1].

والاستعارة عند ابى تمام في قوله :

لاتسقنى ماء الملام فإننى   صبٌّ قد استعذبت ماء بُكائى

مأخوذة عندهم من قول العتابى :

أُكاتِمُ لوعاتِ الهوى ويُبينها   تخللُ ماء الشوق بين جفوني

وهذا يعنى أن العتابى أخذ قوله من قول عنترة العبسى :

لاتسقنى ماء الحياة بذلة   بل اسقنى بالعز كأس الحنظل

ولو تتبعنا كلام العرب على هذا النحو لكان جُله أخذ، أو سرقة كما يسمونها.

جـ ــ ومن تحصيل الحاصل أن نقول إن لغة العتابي لغة فصيحة جمعت إلى فصاحتها جزالة اللفظ وحسن انتقائه، وعذوبة التعبير وصحة التأليف، وأوضح مايكون شاهد ذلك في قصائده الطوال ــ نسبياً ــ كشأن غيره من الشعراء، واقرأ ــ إن شئت ــ مثالاً على ذلك قصيدته الرائية التي يقول في مطلعها الطللى :

---

(١) انظر الموشح ص ٤٥٠، ٤٥١.

ماذا شجاك بحُوَّارين من طللٍ ودمنةٍ كشفت عنها الاعاصيرُ
شجاك حتّى ضميرُ القلب مشترك والعينُ انسانها بالماء مغمورُ

ويقيني أنك واجد شاهد ماقلناه ماثلاً، ومع هذا فقد رمى بعضهم قوله بالكزازة حينا وبسوء تخير اللفظ حيناً آخر، ومنه قول المرزباني :

(ولقد هاجى أبا قابوس النصرانى، فغُلب عليه في كثير مما جرى بينهما على ضعف مُنَّةِ أبى قابوس في الشعر، ثم قال في هذه القصيدة :

ماذَا عَسى مادحٌ يثنى عليكَ وقد ناداكَ في الوَحْى تقديس وتطهير
فتَّ الممادح إلا أن ألسُننا مُسْتَنْطَقات بما تُخْفِى الضمائير

فقال :«الممادح»، والمدائح أحسن منها وأخفُّ على السمع، وأشبه بألفاظ الحذَّاق والمطبوعين، وقال :«مستنطقات»، ونواطق أحسن وأطبع، ثم قال «الضمائير» فختم البيت منها بأثقل لفظه لو وقعت في البحر لكدّرته، وهي صحيحة، ولكنها غير مألوفة، ولامستعذبة، وماشيء أملك بالشعر بعد صحة المعنى من حسن اللفظ، وهذا عمل التكلّف وسوء الطبع.

أخبرني محمد بن يحيى، قال : حدثني أحمد بن إبراهيم الغَنَوى، قال : كنا عند هلال بن العلاء فذكروا العتّابى، فقال له رجل : هو كزٌّ لارِقَّة له. فقال هلال : أتقول هذا لمن يقول :

رُسُل الضمير إليك تَتْرَى بالشوق مُتْعَبةً وحَسْرَى)[1]

ورحم الله المرزبانى فأى كزازة في (ضمائير) تجعلها تكدر البحر لو رميت فيه؟ أليست (ضمائر) و(ضمائير)(كمحارب) و(محاريب)؟

وليس في الأخيرة كزازة ولا استقباح، وأظنى لا أبالغ إذا قلت إن في ضمائير

(١) انظر الموشح ص ٤٥١.

رنة موسيقية لا توفرها ضمائر في مثل هذه القافية بل ولاغير ضمائر. وربما كان عذر المرزباني ــ رحمه الله ــ أنهم يقيسون جمال الكلمة ــ في الغالب ــ بكثرة دورانها وجريانها على الألسن.

أما (ممادح) فإن معه بعض الحق فيما قال فيها، وأقول بعض الحق لأن في استعمال الكلمات غير المستعملة كثيراً إحياء لها، وهذا خير سبيل للحفاظ على حياة مفردات اللغة ومشتقاتها، وسبيل الشعر في ذلك أمكن من سبيل النثر.

براعة العتابي في التصوير الفني :

د ــ وللعتابي في ميدان جمال التصوير وجلاله مايقيمه مقام المنافس لبشار ذلك الشاعر الذي أفتتن علماء البيان بجمال صوره.

ولو وصل إلينا ديوان العتابي كما وصل إلينا ديوان بشار لوجدنا فيه كثيراً من مثل قصيدتى العتابي اللتين نظمهما في هارون الرشيد معتذراً في الأولى، ومادحاً في الثانية، وقد أطال الناقدون[1] الوقوف عند صور هاتين القصيدتين، ومطلع الأولى :

وأشْعَثَ مُشْتَاقٍ رَمَى في جُفُونِهِ ... غَريبُ الكَرى بين الفِجَاجِ السَّباسِبِ
أمـاتَ الليـالـى شَوْقَهُ غير زَفْرَةٍ ... تـردَّدُ مـابين الحشـا والتَّـرَائِـبِ
أجـدّ ولَمّا يجمع الليـلَ شمْلـهُ ... فـما حـلّ إلاّ وهـو وِردُ الـغـوارب
سَحَبْتُ له ذَيْلَ السُّرى وهو لابسٌ ... دُجى اللّيـل حتّى مجَّ ضوء الكواكب
ومن فوق أكوار المُهارى لُبانَةٌ ... أُحِلّ لهـا أكْـلُ الـذُرَى والـغـوارب
وكـلُّ فتىً عاداتُهُ قَصْرُ شَوْقِهِ ... وطـيّ الحشـا دون الهموم العَوَازب
يُسرُّ الهـوى لم يُبـذه نعتُ فرقةٍ ... صُـراخاً ولم تَسْمَعْ به أُذُن صاحبِ

(١) انظر رقم ٥ من هذا المبحث وهو في ص ٧٧.

إذا ادّرع الليل انجلى وكأنّهُ بقيةُ هنْدِى الحُسامِ المُضَاربِ

أما مطلع الثانية فيقول فيه :

ماذا شجاك بُحوّارين من طللٍ ودمنةٍ كشفت عنها الاعاصيرُ
شجاك حتّى ضميرُ القلب مشترَكٌ والعينُ انسانُها بالماء مغمورُ
في ناظِريّ انقباضٌ عن جُفُونها وفي الجُفُون عن الآماق تقصيرُ
ياليلة لى بُحوّارين ساهرة حتى تكلّم في الصبح العصافير
لوكنتِ تدرين ماشوقي إذَا جَعَلَتْ تنأى بنا وبكِ الأوطانُ والدورُ
لبست أردية النوّار من طَلَلٍ وزلت أخضر تعلوك الأزاهيرُ

ولم أشأ الوقوف عند هذه الصور لإتيان اقوال العلماء فيها مستقبلاً. وخص القصيدتين السالفتى الذكر بالإشارة لايعنى حصر الصور الجميلة فيهما، فهناك من الصور الجميلة المنبثة في شعر العتابي أكثر من ذلك بكثير، منها ما أشار إليه العلماء ومنها مافاتتهم الإشارة إليها ومن ذلك قوله :

أكاتم لوعات الهوى ويبينُها تخلل ماء الشوق بين جفوني

وذكر المرزباني أن هذا البيت قد سار في ألسن أهل زمانه. ومنه تلك الصورة التي رسمها العتابي لنفسه وقد جنّهُ الليل وحيداً في الصحراء فنام متوسداً ذراع ناقته:

لو رأتني بذى المحارة فردا وذراع ابنة الفلاة وسادى

ويصور حالته النفسية وقد فرضت عليه وصل الليل بالنهار سيراً إلى حاجته فلم يعبأ بأكل الرحل سنام ناقته وغاربها فيقول :

ومن فوق أكوار المهارى لبانة أحل لها أكل الذرى والغوارب

وليس فيه إغراب كما ادعى ذلك بعضهم وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال في معرض وصف الجمل :

رعته الفيافي حقبة بعد أن رعاها وماء الروض منهل ساكبه

هـ ـ والعتابي عالم، فليس بعجيب أن يتأثر في شعره بعلمه، غير أن ذلك الأثر لم يفض بشعره إلى سبيل النظم العلمى لأن شاعريته ألبست ذلك التأثير ثوب الشعر الأنيق.

لقد عَلِمَ العتابى من علم الفلك أن الفرقدين لايفترقان، وعلم من كتاب الله وسنة رسوله أن الله يطوى السموات والأرض وما بينهما يوم القيامة وفي هذا الطى يكون افتراق الفرقدين ولذلك قال :

قُلت للفرقدين والليلُ مُلْقٍ سُودَ اكنافِه على الآفاقِ

أبْقَيَا مَا استطعتما فسيُرمى بين شخصيكما بسَهْمِ الفِرَاقِ

وإذا أكثر الشعراء من المدح بالكرم والشجاعة ونبل الخلال فإن العتابى يرى الدين أفضل مايمدح به والخليفة (ظل الله في أرضه) [1]. ولذا قال العتابى في مدح الخليفة هارون الرشيد :

رعى أمة الإسلام فهو إمامُها وأدى إليها الحقَ فهو امينُها

مقيمٌ بمستن العلا حيثُ تلتقى طوارقُ ابكار الخطوبِ وعونُها

وقوله :

إمامٌ له كفٌ يضمُ بنانُها عصا الدين ممنوعا من البرّى عودُها

---

(١) إضفاء الصفات الدينية على الممدوح في العصر العباسي شيء محبب إلى النفوس لأنهم في تنافسهم على الخلافة كانوا يبحثون عن الأحقية الدينيّة، وإضفاء هذه الصفات الدينيّة على الخلفاء العباسيين أمر محبوب عندهم يدفعون به حجج آل البيت وغيرهم ممن كانت لهم أطماع في الخلافة.

وذلك لأن العتابى كان عالماً قبل أن يكون شاعراً.

ذ ــ ولم يسلم العتابى في شعره من بعض المبالغات الممقوته التي ربما غطى عليها عند البعض جمال تصوير العتابى و بلاغة قوله ومن ذلك قوله :

مازلت في غمرات الموت مطرها　　يضيق عنى فسيح الرأى من حيلى

فلم تزل دائباً تسعى بلطفك لى　　حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

فالذي يدفع الأجل هو الله سبحانه وليس ذلك في مقدور البشر. على أن مثل ذلك نادر عند العتابي.

أقوال العلماء والنقاد في شعر العتابي

٥ ــ وأقوال العلماء والناقدين في شعر العتابى يمكن أن تقسم إلى ثلاثة :

احكام عامة،　　احكام جزئية،　　موازنة.

أ ــ فالاحكام العامة : يطلقون فيها احكامهم اطلاقاً عاماً يمكن أن يُراد به الشعر كله، وبعضه يحتمل دخول النثر مع الشعر في الحكم. وهذا النوع من الأحكام لايكون قاطعاً في الجزئيات لأنه لايمكن أن يخضع له كل بيت، ولذا فإنه دليل استئناسىّ لكنا نثقُ به ونرتاح إليه ونركن، لصدوره من رجال أعلم منا بلغة العرب وآدابها، إلى كونهم أقرب إلى عصر العرب الفصحاء فأذواقُهم أشبه بأذواقِهم.

ولعل من أهم تلك الأقوال قول شيخ الأدباء أبى عثمان عمرو بن بحر، الجاحظ: [١] (ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العتابي،وكنيته أبو عمرو، وعلى الفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلّف مثل ذلك من شعراء المولّدين، كنحو منصورٍ النمرى، ومسلم بن الوليد الأنصارىّ وأشباههما.

---

(١) البيان والتبيين ج ١/ ص ٥١.

وكان العتابى يحتذي حذو بشار في البديع. ولم يكن في المولّدين أصوبُ بديعاً من بشّارٍ وابن هَرْمة) وسوف نعود إلى مناقشة هذه الفكرة بعد قليل إن شاء الله.

وقال أبوالفرج:(١) (شاعر مترسِّل بليغ مطبوع، متصرِّف في فنون الشعر ومقدّم). أما ابن المعتز:(٢) فقد قال عنه: (وكان العتابى مجيداً مقتدراً على قول الشعر) وقال: (وما رأيت كاتباً تقلد الشعر مع الكتابة الا وجدته ضعيف الشعر غيره، فإنه كان فحل الشعر جيد الكلام)، وقال: (واشعار العتابي كلها عيون ليس فيها بيت ساقط).

وللمسعودى(٣) في العتابي وأدبه كلام حسن إذ يقول: (كان من العلم والقراءة والأدب والمعرفة والترسل وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الأشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان وجودة الحفظ وصحة القريحة على مالم يكن لكثير من الناس في عصره مثله).

وقال المرزباني: (٤) (أخبرني محمد بن يحيى، قال: كان أبو أحمد يحيى بن علي المنجم قد ناظر رجلا يعرف بالمتفقّه الموصلي في العباس بن الأحنف والعتابي، فعمل يحيى في ذلك رسالة وأنفذها إلى على بن عيسى. لأن الكلام كان بحضرته، قال الصولى : وقد حضرت أنا ذلك المجلس، فكان مما خاطبه به أن قال : ما أهّل نفسه العتابي قط لتقديمها على العباس بن الأحنف في الشعر، ولو خاطبه بذلك مخاطبٌ لدفعه وأنكره، لأنه كان عالماً لايؤتى من معرفة بالشعر، ولم أر أحداً من العلماء بالشعر قط مثّل بين العباس والعتابى فضلا عن تقديم العتابى عليه لتباينهما في المذهب، وذلك أن العتابي متكلف والعباس يتدفق طبعاً، وكلام هذا سهل عذب، وكلام ذاك متعقد كزّ، ولشعر هذا ماءٌ ورقة وحلاوة، وفي شعر ذاك غلظ وجساوة. وشعر هذا في فنّ واحد ــ وهو الغزل ــ فأكثَر فيه وأحسن، وقد افتنّ العتابي فلم يخرج في شىء منه عما وصفناه به).

---

(١) الاغانى ج ١٣/ص ١٠٩.
(٢) طبقات الشعراء ص ٢٦٣.
(٣) مروج الذهب ج ٤/ص١٥.
(٤) الموشح ٤٤٩، ٤٥٠.

ولابن قتيبه[1] ، و ياقوت الحموى[2]، والبغدادي[3] وغيرهم أقوال في العتابى وشعره لكنها مشبهة للآراء التي أوردناها أو قريبة منها فذكرها من باب التكرار. ولبعض المتأخرين أقوال في شعر العتابى منها قول الدكتور شوقي ضيف[4]: :(كان العتابى لايزال يلذ عقول سامعيه وقلوبهم بما يورد عليهم من نوادر الأخيلة وطرائف المعانى محتالاً لذلك متلطفاً له بكل ما ادخره عقله واقتناه من بيئة المعتزلة وكنوزها الفكرية الغنية، وقد ظل الناس يفتنون بشعره، وهو يعرض عليهم مبتكراته في معانيه حتى انتقل إلى جوار ربه في سنة ثمان ومائتين).

أما الدكتور مصطفى الشكعة[5] فيقول (وخلاصة القول في العتابي أنه أكثر شعراء الفترة العباسية ثقافة، ومن أخصبهم شاعرية، فحين اجتمعت هاتان الخصلتان تفجرتا عن صيغة جديدة من الشعر العربي جمعت بين عمق الفكرة وجلالها ورقة الصيغة وجمالها، مع أخذ بأسباب الصنعة البديعية حينا ما، فكانت هذه جميعا الظاهرة العتابية الشعرية التي أهدت إلى الأدب العربي فيما بعد الشاعر الفذ أبا تمام الطائى الذي نعتبره تلميذاً مخلصاً لمدرسة العتابى). وأما الدكتور أحمد محمد النجار[6] فيقول:

(وظل العتابى ينسب إلى البديع و يكثر منه إكثار أعلامه، و يروى عنه الناس أجمل آثاره فيه، بفضل ما أتيح له من طبع مهذب، وذوق مُصفىً، وقدرة على التصرف في فنون الشعر).

وقفة عند البديع :

وقبل أن نمضي في تبيين هذه الأحكام لابد من وقفة عند البديع، و بيان آراء بعض النقاد القدامى من رواد الأدب الكبار، ثم نناقش هذه الأحكام فالجاحظ ذكر

---

(١) الشعر والشعراء ج ٢/ص ٨٦٣.
(٢) معجم الأدباء ج ٦/ ص ٢١٣.
(٣) تاريخ بغداد ج١٢/ ص٤٨٨.
(٤) العصر العباسى الأول، ص ٤٢٥.
(٥) الشعر والشعراء ٥١٩.
(٦) العتابى أديب تغلب في العصر الحديث ٨٥.

أن الرواة أطلقوا مصطلح البديع على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية، وعلى بعض الصور البيانيّة التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم، فتزيدها حسناً وجمالاً، ثم مثل ببيت الاشهب بن رميلة :

هُمُ ساعد الدّهر الذي يتّقى به   وما خير كف لا تنوء بساعد

ثم قال : قوله (هم ساعد الدّهر)، إنما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع ثم قال : والراعي كثير البديع في شعره وبشار حسن البديع، والعتابي يذهب شعره في البديع [1] .

وعن مسلم بن الوليد[2] ، قال أبو الفرج الأصفهاني :«وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع، وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف، وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي، فإنه جعل شعره مذهباً واحداً فيه» [3] .

ويبدو أن ابن المعتز قد ضج من ادعاء أولوية القول في هذا البديع، فألف (كتاب البديع)، ليعلم هؤلاء أنه ليس لهم فضل السبق، وأن بشاراً ومسلماً والعتابي وأبا نواس، ومن حاكاهم وسلك مسلكهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ثم بيّن الذي شغف بالبديع حتى عرف به، فقال :

«ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرع فيه وأكثر منه، فأحسن في بعض ذلك، وأساء في بعض، وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف، وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً ويزداد حظوة بين الكلام المرسل» [4].

---

(١) البيان والتبيين : ج ٤/ ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) أبو الوليد ت ٢٠٨هـ/٨٢٣م شاعر عباسي من الطبقة الأولى، والعهد الأول، ولد ونشأ بالكوفة، وتوفي بجرجان، مدح الرشيد، والبرامكة، والفضل بن سهل، لقب بصريع الغواني، وكان قد ولي البريد بجرجان. شعره يعتمد على البديع، مع المحافظة على النسق الشعري القديم.

(٣) الأغاني ج ٣١/١٩.

(٤) البديع، ابن المعتز ص/١.

والبديع عند ابن المعتز في خمسة فنون، هي : الاستعارة والتجنس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ماتقدمها، والمذهب الكلامي. وأماما يعرف من فنون أخرى، فإنه يسميها محاسن الكلام وهي :

الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج، وتأكيد المدح بمايشبه الذم، وتجاهل العارف، والهزل الذي يراد به الجد، وحسن التضمين، والتعريض والكناية، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، وإعنات الشاعر نفسه في القوافي، وحسن الابتداءات» [1].

ثم جاء قدامة بن جعفر وأضاف أشياء أخرى جعلها من البديع، وسمّاها من محاسن الكلام ونعوته، وهي : التقسيم، الترصيع، المقابلات، التفسير، المساواة، الإشارة. ويلاحظ هنا أن ابن المعتز فرق بين البديع الذي حصره في فنون خمسة، وبين محاسن الكلام... والمدقق في هذا، وهو أمام النصوص الأدبية الجاهلية والإسلامية يرى خيطاً دقيقاً من الفرق بينها، فمحاسن الكلام التي ذكرها ابن المعتز، كانت معروفة في النصوص النثرية والشعرية، الجاهلية والإسلامية، فهناك الالتفات والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج إلى آخر أشكال محاسن الكلام. وهناك صور من البديع قديمة، وابن المعتز في هذا ينفي فضل السبق عن بشار، ومسلم وأبي نواس والعتابي ومن حاكاهم، ولكن الخيط الدقيق الذي ذكرناه يظهر في مسلك هؤلاء الذين ذكرناهم فقد جعلوا من البديع منهجاً وأسلوباً، وإذا كان ابن المعتز قد نفى عنهم الأولوية، فإنه لايستطيع أن ينفى عنهم المنهجية.

ولكن في الأحكام التي مرّت بنا عن العتابي عمومية، وعدم وضوح ودقة على مافيها من إبراز جوانب هامة في شخصية العتابي الأدبية.

فنص الجاحظ دحضه نص ابن المعتز فالعتابي لم يكن يحذو حذو بشار في البديع، وإنما كان ابن عصره، وطبيعة هذا العصر قد جعلت من البديع الذي هو في واقع الحال والبيان زخرفة للقول. وقد قامت الحياة الاجتماعية والفكرية في العصر

(١) المصدر السابق ص ١ ومابعد.

العباسي على الزينة والزخرف والترف، وسارت كل مناحي الحياة على هذا، فإذا تتبعنا كتاب الدواوين، وجدناهم منصرفين إلى ذلك، ولم يكن هذا مقتصراً على الشعر والشعراء.

والعتابي ابن عصره، وابن بيئته، فهو ليس إلا واحداً مبدعاً في البديع تابعاً، ولنقل مقلداً عصره. وهذا في نمط القول، ولكنه لم يكن كذلك في السلوك والفعل.

ولشد ما أعجبني قول أبي الفرج بأنه (شاعر مترسّل بليغ مطبوع). وأما ابن المعتز، فقد أنصفه، وإنصافه يظهر في عدة أحكام :

ـــ فهو لم يجعله حاذياً حذو أحد.

ـــ كما أنه جعله من المجيدين المقتدرين على قول الشعر.

ـــ وقال بأنه كاتب تقلد الشعر مع الكتابة، وأنه كان فحل الشعر جيد الكلام، وما رأيت كاتباً تقلد الشعر مع الكتابة إلا وجدته ضعيف الشعر) وحكمه على العتابي بأنه فحل الشعر جيد الكلام دقيق، ويطمئن إليه الباحث.

ونص المسعودى خاص في أشياء كثيرة، عام في عبارة واحدة كان عليه أن يكون أكثر دقة فيها، فهو يراه «.. من العلم والقراءة والأدب، والمعرفة والترسل، وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان وجودة الحفظ وصحة القريحة على مالم يكن لكثير من الناس في عصره».

وهنا يقع في الخطأ إذ كان عليه أن يقول لكثير من أقرانه، أو لكثير من الأدباء، أو العلماء، أو الشعراء... أما أن يقول (الناس) فهذه كلمة عامة لاسيما وأن «ال» هنا جنسيّة تغلب على العهديه.

وأما ما قاله الدكتور شوقي ضيف فإن العمومية فيه في قوله «متلطفاً له بكل ما أدخره عقله واقتناه من بيئة المعتزلـه وكنوزها الفكرية الغنية».

فالحكم على البيئة التي نهل منها العتابي أنها معتزلية، هذا حكم عام غير دقيق،

وتنقصه الأدلة العقلية، ولايقويّه رأي أو دليل نقلي واحد. فالعصر الذي عاش فيه العتابي من أكثر العصور العباسية صراعاً وعلماً وفكراً، ولم يكن كل الناس على دين المعتزلة، ثم أن الاعتزال لم يظهر ثوباً رسمياً للدولة إلا بعد استلام المأمون للخلافة، وعلينا ألاّ نتصور أن كل من أحسن الكلام، وأحسن نظم الحجج والجدال والنقاش صار معتزلياً. والبيئة التي ولد فيها العتابي في قنسرين لم يذكر عنها أنها عرفت شيئاً من الاعتزال، والبيئة الثانية التي عاش فيها برأس العين كانت مصدراً لثورة الخوارج لا المعتزلة، وأما الرقة، فقد كانت الإباضيه فيها منتشرة. والعتابي كان قد سكن هذه المنازل، وأكثر من الزيارة للبصرة والكوفة وبغداد، ومرو، وخرسان، ولكنه لم يكن كما أرادوه معتزلياً، ولو كان كذلك لما وقف مستجدياً على أبواب المأمون يلتمس الإذن بالدخول، ولكان في ديوان الخلافة في منزلة لا تقل مكانة عن مكانة سهل بن هارون.

ثم يأتي الدكتور شوقي ضيف فيجعل وفاته سنة ٢٠٨هـ. وفي هذا الموضوع يقول صاحب الوفيات عن العتابي بعد أن ترجم له، وكان شاعراً بليغاً مجيداً، مدح هارون الرشيد وغيره، وهو من أهل قنسرين المدينة القديمة بالشام مجاورة حلب، وكان ينبغي ذكره في هذا الكتاب، وإنما أخللت به لأني لم أظفر له بوفاة، ومبنى هذا الكتاب على من عرفت وفاته (١).

وأما قول الدكتور الشكعة فإننا نأخذ عليه عبارته بأنه(أكثر شعراء الفترة العباسية ثقافة، ومن أخصبهم شاعرية..) فأما أنه أكثرهم ثقافة فهذا صحيح، وأما أن يكون من أخصبهم شاعرية، فهذا غير صحيح رغم ماضاع له من شعر.

ولو قال الدكتور النجار : ظل العتابي ينسب إلى ثقافة عصره لكان أدق من قوله ظل ينسب إلى البديع.

وهذه كلها أحكام عامة ـــ كما تراها ـــ لايقولون مثلها إلا فيمن غلب جيد قوله رديئه وغطاه، وستر حَسَنُ كلامه سواءة ً ضعيفة ً..

---

(١) وفيات الأعيان ج٤/ ٣٨٩ دار صادر ودار بيروت تحقيق إحسان عباس.

ب ــ ومن النقاد من تناول بحكمه جزئية أو جزئيات، ومثل هذا الحكم دقيق في الغالب ولكنه على دقته مقصور على ماورد فيه، فلا يعطى حكماً شاملاً كالأقوال السابقة إلا أنه اقرب إلى الدقة والصدق لكونه يتناول مسألة محددة بعينها مقصودة بذاتها، فالجاحظ يعلق على ابيات للعتابي في مدح هارون الرشيد فيقول : (و يقوى اتصال العتابى بالرشيد، ويختصه بمدائح يركز فيها أيضاً على قيامه بأمر الله ورعاية الرعية، و يفصّل هذا المعنى نوعاً من التفصيل فيقول :

إمام له كفٌ يضم بنانُها ... عصا الدين ممنوعاً من البرْى عُودُها

وعينٌ محيطٌ بالبرية طَرْفها ... سواءٌ عليه قُربُها وبَعيدُها

وأصمعُ يقظان يبيت مناجيا ... له في الحشا مستودَعات يَكيدُها

وسَمْعٌ إذا ناداه من قعر كرْبَةٍ ... منادٍ كفته دَعوةٌ لايُعيدُها

أرأيت أعضاء الإمام من الكف والعين والقلب والأذن، وقد وصل كلا منها بما يميزها، فتؤدي وظيفتها على نحو مايرضى الإمام، فالكف تضم بنانها عصا الدين القوية المتينة، والعين تحيط بالقريب والبعيد من الرعية، والقلب الذكي الشجاع يقظ يدبر له الأمر، والأذن تسمع دعوة المكروب ونداء المضطر، فيجيب و يكشف السوء دون إبطاء، والشاعر بكل هذا يحيط الإمام بسياج من الجلالة الدينية، ليزيد هيبته في القلوب، ويمكن له في الأرض.

إذ جعله يرعى حق الله فلا يتعدى حدوده ولايقصر في أمر من أمور دينه، فهذه عصا الدين ممنوع من البرى عودها، وعصا الدين في يد السلطان تردع مالا يردع القرآن ــ كما قيل ــ والإمام عادل، ممن يظلهم الله بظله، فلا يشغله عن الدين شاغل، كما أنه عن دنياه غير مشغول، وهذا المعنى ردده كثير من الشعراء وخاصة في عصر بنى أمية لدواع سياسية، والجدير هنا في ذكر هذه الحواس القوية الإدراك لمسئولياتها إبتغاء مرضاة الله برعاية أمور الأمة قريها وبعيدها، وإجابة دعوة المضطر في السر والعلن. و يبدو الإمام بهذه الصفات متميزا من غيره من الأئمة.

ولابد أن يكون الشاعر قد منح على تلك المدحة بسخاء، فالرشيد كان يعطى الجزيل على مثل هذا المديح الذي يمكّن لدولته، ويعلى شأنه، ويبسط سلطانه. كما أثار هذا الشعر إعجاب الناس، فمضى العتابى يردد هذه المعانى في إطار جديد، ويصوغها صياغة يتأنق فيها كل التأنق ويضيف إليها بعض ماهو دقيق لفظا ومعنى وخيالا على مثال قوله في الرشيد أيضاً :

أُوافى أمير المؤمنين بهمة تـوَقَّـلُ في نيل المعالى فنونها
رعى أمّةَ الإسلام فهو إمامُها وأدّى إليها الحق فهو أمينُها
ويَستنتجُ العقماءَ حتى كأنما تغلغلَ في حيث استقرَّ جَنينُها
وماكلُ موصوفٍ له الحقُ يهتدى ولاكلُّ من أَمَّ الصُّوَى يستبينُها
مقيمُ بمُستَنِّ العُلا حيث تلتقى طوارق أبكار الخطوب وعونُها

ومنه قول المرزبانى في الموشح وقد سلف.

ومن ذلك أيضاً حكم ابو هلال العسكرى [1] على قول العتابى :

والغيم كالثوب في الآفاق منتشرٌ من فوقه طبقٌ من تحته طبقُ
تظنه مصمتاً لافَتقَ فيه فإن سالت عزَاليه قلتَ : الثوبُ منفتقُ
إن مَعمعَ الرعدُ فيه قلت منخرقٌ أو لألأ البرق فيه قلتَ محترقُ

على أنها من الوصف الجيد الذي اتت جودته من استيعابه جُل معانى الموصوف. فأنت ترى ان هذه الاحكام تتناول البيت أو العبارة أو الكلمة فتبين مافيها من وجه حسن أو وجه قُبح في اللفظ أو المعنى أو الصورة.

جـ ــ ومن الاقوال ماهو موازنة أو شبيه بالموازنة ومنه ماورد في الاحكام العامة

(١) الصناعتين ١٢٩، تحقيق البجاوى وأبى الفضل.

وهو قول المرزباني[١] (أخبرني محمد بن يحيى، قال : كان ابو أحمد يحيى بن علي المنجم قد ناظر رجلا يعرف بالمتفقّه الموصلي في العباس بن الأحنف والعتابى، فعمل يحيى في ذلك رسالة وأنفذها إلى علي بن عيسى، لأن الكلام كان بحضرته.

قال الصولي : وقد حضرت أنا ذلك المجلس، فكان مما خاطبة به أن قال : ما أهّل نفسه العتابى قط لتقديمها على العباس بن الأحنف في الشعر، ولو خاطبه بذلك مخاطب لدفعه وأنكره، لأنه كان عالماً لايؤتى من معرفة بالبشر، ولم أر أحداً من العلماء بالشعر قط مثّل بين العباس والعتابى فضلاً عن تقديم العتابي عليه لتباينهما في المذهب، وذلك أن العتابى متكلف والعباس يتدفق طبعاً، وكلام هذا سهل عذب، وكلام ذاك متعقد كزّ ولشعر هذا ماء ورقة وحلاوة، وفي شعر ذاك غلظ وجساوة. وشعر هذا في فن واحد ــ وهو الغزل ــ فأكثر فيه وأحسن، وقد افتنّ العتابى فلم يخرج في شيء منه عما وصفناه به).

وفي بعض هذا القول شيء من التحامل على العتابى والتجنى عليه وذلك بوصف شعره بالتكلف والكزازة والغلظ والجساوة، ولم يظهر لنا شيء من ذلك في شعره.

ولعل من أحسن ماورد في هذا الباب من أقوال الباحثين والناقدين قول نجيب محمد البهبيتى[٢] (وأهم مايربط بينه وبين مروان هو طلبه المعانى، وتوفيقه فيها، وعدم اهتمامه بالبديع والصورة، إلا اذا جاءاه طوعا على غير استكراه، يشبه في ذلك المطبوعين، ويقارب فيه أصحاب المدرسة القديمة، هذا مع قوة أسر اللفظ، وسلامة فيه، هما أثر لنشأته القريبة من البادية، ويقرب بينهما كذلك بعد العتابى عن أن ينزل بالشعر في موضوعه، عن المستوى الرفيع. والنزول الذي يقارب بينه وبين كل ألوان حياة عصره، فلم يقل في الخمر، ولم يمجن، فحبس شعره بذلك على الخاصة، وجانب به المحدثين).

ومما يتصل بذلك ماوقع بين العتابى وبعض الشعراء من خصومات وملاحاه

(١) الموشح ٤٤٩، ٤٥٠.

(٢) تاريخ الشعر العربي ٤٧٥، ٤٧٦.

ومُحاجه ومناقضه واكثر ماكان ذلك مع أبي نواس، وهو مقدّم في فحول الشعراء، والفحل لايقارع ابن اللبون.

١ ـ روى ابو الفرج في كتابه الاغانى[١] (جاء العتابى وهو حَدَث ٌإلى بشار، فأنشده :

أيصدف عن أمامة أم يُقيم وعهدُك بالصِّبا عهدٌ قديمُ

أقول لمستعار القلب عَفَّى على عزماته السّيرُ العديمُ

أما يكفيك أن دموع عينى شآبيبٌ يفيض بها الهموم

أشيمُ فلا أردُّ الطرف إلاّ على أرجائهِ ماء ٌسَجُوم

قال : فمد بشّار يده إليه : ثم قال له : أنت بصير؟ قال: نعم. قال : عجبا لبصير ابن زانية، أن يقول هذا الشّعر. فخجل العتابى وقام عنه).

٢ ـ العتابي والنمرى والنواسي :

وكان منصور النمرى آثر تلامذة العتابى عنده حتى حسد التلميذ استاذه ونفث عليه، ومن ذلك أن النمرى وشى بالعتابى لدى الرشيد وشاية أوغرت صدر الرشيد على العتابى فهمَّ بقتله لولا أن استوهب يحيى بن خالد دمه، ولذا جرت قطيعه وعداوة بين الرجلين، ومن اصداء ماكان بينها، قال الاصفهاني[٢] (وقد حدثنى علي بن سليمان الأخفش، قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرِّد، قال : كتب كلثوم بن عمرو العتابى إلى منصور النمرى قوله :

تَقَضّتْ لُبانات ٌولاح مشيبُ وأشفَى على شمس النهار غروبُ

وودّعت اخوان الصِّبا وتصرّمت غَواية قلبٍ كانَ وهو طروبُ

---

(١) انظر ج ١١٣/١٣.

(٢) الاغانى ١٥٤/١٣، ١٥٥.

وَرُدّت على الساقى تفيض وربمّا ردّدت عليه الكاس وهي سليب
ومـمّا يَهِيج الشوق لى فيَرُدّه خفيفٌ على أيدى القِيان صَخوبُ
عَطَوْن به حتّى جرى في أديمه أصابيغ في لبّاتهنّ وطيبُ

فأجابه النمرى وقال :

أوحشَة نَدَمانيك تبكي فربَّما تلاقيها والحِلم عنك عَزُوب
ترى خلفا من كل نيلٍ وثروةٍ سماعَ قيان عودهنّ قريبُ
يغنيك يابنتى فتستصحب النُّهى وتحتازك الآفاتُ حين أغيب
وإن امرأً أودى السماعُ بلُبِّه لعُريانُ من ثوب الفلاح سليبُ

في قصيدة العتابي صدى نفسي واضح الدلائل والقرائن، فالأستاذ تقدمت به السن، ومالت شمسه إلى المغيب، في الوقت الذي أخذ فيه ساعد تلميذه يشتد ويقوى، وينكر الجميل... وكأن هذه القصيدة ناقصة...

وجواب تلميذه فظ غليظ من أوله، وإذا غادرنا الثوب اللفظي إلى ما يلقيه من ظلال نفسية استطعنا أن ندرك ذلك، ولفظة (الوحشة) تعبير عن الشمس المائلة إلى الغروب، والبكاء وليد الوحشة وتعريته من ثوب الفلاح والخير أمر منكر تظهر ظلاله من ألفاظ النمري.

وقد حاول طاهر بن الحسين التأليف بين الشاعرين فلم يفلح بل نتج من ذلك أبيات هجا العتابى النمرى فيها وقد سلفت مع خبرها.

٣ ــ أما اخباره مع أبي نواس فإنها ــ على ماهى عليه من قلة ــ أوفر من اخباره مع غيره. فمن ذلك مارواه الحصرى[١] (مر العتابى بأبى نواس وهو ينشد الناس :

(١) زهر الآداب ٢/٩٨٦، ٩٨٧.

ذكر الكرخ نازحُ الأوطانِ فبكى صَبْوَةً ولاَت أوانِ

فلما رآه قام إليه، وسأله الجلوس، فأبى وقال : أين أنا منك وأنت القائل، وقد أنصفك الزمان :

قد علقنا من الخصيب حِبَالاً أَمَّنتْنَا طوارقَ الحدثَانِ

وأنا القائل وقد جار عليّ، وأساء إليّ :

لفظتنى البلادُ وانطوت الأكفاء دونى ومَلَّنى جِيرَانى

والْتَقَتْ حَلْقةٌ عليّ من الدّهرِ فَاجَتْ بِكَلْكَلٍ وجرانِ

نازعتنى أحداثها مُنْيَة النفس وهدَّت خطوبُها أرْكَانى

خاشعٌ للهموم معترف القْلب كَئِيبٌ لنائباتِ الزمانِ

وروى المرزبانى (التقى العتابى بأبى نواس فقال العتابى اما خفت الله حيث تقول :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التى لم تخلق

فقال له أبو نواس : فما خفت أنت الله حيث تقول :

مازلت في غمرات الموت مطّرحا يضيق عنى وسيع الرأى من حيلى

فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لى حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

فقال العتابى : قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك (١) ولكنك اعددت لكل ناصح جوابا).

٤ ــ ولقى العتابى أبا هفّان راوية أبى نواس فجرى الحديث بينهما بما رواه

(١) يعنى أن قوله هو يمكن حمله على المجاز، أما قول أبى نواس فلا وجه لحمله على المجاز، والله اعلم.

المسعودى حيث قال : كان كلثوم العتابى يضع من قدر أبى نواس، فقال له راوية أبى نواس يوما : كيف تضع من قدر أبى نواس، وهو الذي يقول :

اذا نحن اثنينا عليك بصالح | فأنت الذي تثنى وفوق الذي نثنى
وان جرت الألفاظ منا بمدحه | لغير انسانا فأنت الذي نعنى[1]

قال العتابى : هذا سرقه، قال ممن؟ قال : من أبى الهذيل الجحمى، قال حيث يقول ماذا؟ قال : حيث يقول :

واذا يقال لبعضهم نعم الفتى | فابن المغيرة ذلك النعم
عقم النساء فلا يجئن بمثله | ان النساء بمثله عقم

قال : فقد أحسن في قوله :

فتمشت في مفاصلهم | كتمشى البرء في السقم

قال : سرقه أيضاً، قال له : وممن؟ قال : من شوشه الفقعسى، قال : حيث يقول ماذا؟ قال : حيث يقول :

اذا ماسقيم جل عنها وكاءها | تصعد فيه بروءها وتصوبا
وان خالطت منه الحشا خلت أنه | على سالف الأيام لم يبق موهبا

فقال، فقد أحسن في قوله :

وما خلقت الا لبذل أكفهم | واقدامهم الا لأعواد منبر

قال : قد سرقه أيضاً، قال : ممن؟ قال من مروان بن أبى حفصه، قال : حيث يقول ماذا؟ قال : حيث يقول :

---

(١) مروج الذهب ٣٦٦/٣. ولعل العبارة في الشطر الثاني من البيت الثاني (إلى غير انسان).

وما خلقت الا لبذل أكفهم وألسنهم الا لتحرير منطق

فيوما يبارون الرياح سماحة ويوما لبذل الخاطب المتشدق

قال : فسكت الراوية، ولو أتى بشعره كله لقال سرقه [1] .

٥ ــ وكانوا يرونه نداً للعباس بن الاحنف، قال الصولى: [2] (ناظر أبو أحمد علي ابن يحيى المنجم رجلا يعرف بالمتفقه الموصلى في العباس بن الاحنف والعتابى فعمل علي في ذلك رسالة أنفذها لعلي بن عيسى، لأن الكلام في مجلسه جرى).

وسبق ذلك في فقره «ج» قبل هذه الفقره، كما سبق خبر مهاجاته لأبي قابوس النصرانى فانظرها هناك أيضاً.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الموشح ٤٤٩.

الفصل الرابع
نثر العتابي

١ - في القرن الثاني
٢ - أقسام النثر العتابي
٣ - الألفاظ والمعاني

في القرن الثاني :

كل من أراد الحديث عن النثر في العصر العباسي، مهد له بالحديث عن النثر الجاهلي، المتمثل بالخطب والأمثال، وأقوال لقمان، وسجع الكهان... ثم ثنّى بالحديث عن الإسلام، وعظمة الأسلوب القرآني الذي لايارى ولايجارى، وعن الحديث النبوي، والخطابة الإسلامية وتطورها في العصرين الإسلامي والأموي، وظهور الخطابة السياسية، والمناظرات، وأقوال الوعاظ والقصاصين.

وفي نهاية العصر الأموي لابد من وقفة مطولة عند عبدالحميد الكاتب الذي يعتبر من أبلغ كتاب الدواوين (١).

ولكن الأمور بعد ذلك اختلفت، فحين جاءت الدولة العباسيّة، عمت روح فارسية في مختلف مظاهر الحياة، وارتفع شأن الموالي من الفرس، وظهر فيهم أسر كبيرة تحكمت بمفاتيح القصر العباسي ردحاً طويلاً من الزمن، أمثال بني برمك، وبني سهل، وطاهر بن الحسين وأولاده.

وكان لابد من حدوث نزاع كبير، نجم عنه ظهور الحركة الشعوبية بإفرازاتها الكثيرة، وما تحمله من حقد يغلي غليان المرجل ضد العرب وأفكارهم وطريقة عيشهم، وكل مايمت إليهم بصلة. ولكنهم أيام الرشيد كانوا منه في ختلة، ولاسيا بعد نكبة البرامكة وذبحهم، وكانت الفتنة بين الأمين والمأمون صورة واضحة لهذا الصراع العربي الفارسي. وحين انتصر المأمون اكتملت الحلقة الفارسية حول الخلافة العباسية وقويت شوكة الشعوبية، وتمثلت في مظاهر حيوية مختلفة، من أهمها، استيلاؤهم على حركة التأريخ الفكري والأدبي من خلال الاعتزال ومن خلال الاستيلاء على دواوين الكتابة.

---

(١) قال عنه صاحب وفيات الأعيان، أنه كان من أهل الأنبار، وسكن الرقة.

وكان من أوائل المتعصبين للفرس على العرب، أبو عبيدة معمر بن المثنى الذي صنّف في هذا كتاباً، وهيثم بن عدي، وسهل بن هارون وعلاّن الشعوبي، وغيرهم.

ورغم أن الجاحظ رد عليهم في البيان والتبيين إلا أن رده لم يكن بقوة هجمتهم، ولم يعمل شيئاً غير أنه امتص نقمة كانت في صدور العرب. ويعتبر ابن قتية عندنا هو أهم من رد عليهم في رسالته (كتاب العرب) (١).

وهذه النزعة هي التي تفسّر لنا بقاء كثير من الأدباء العرب كتاباً وشعراء محجوبين غير معروفين، وإن هُمُ عرفوا، فأخبارهم ضائعة، وكتبهم مفقودة، وشعرهم ضائع، وماوجد عنهم من أخبار يقع بين أمرين، أمر ممسوخ مشوّه، وأمر مقتصر على نتف متناثرة من الأخبار حفظت في الصدور مدة طويلة من الزمن. وإذا وجدوا أنفسهم عاجزين عن الإقلال من قيمة أحد الكتاب من أصحاب الرياسة والكياسة، والثقافة، نسبوا كل خير فيه إليهم، ثم تركوه....

وأهم مايتصل ببحثنا هنا تلك المناظرات الكلامية التي حمل لواءها المعتزلة... حتى قالوا بخلق القرآن، واستطاعوا أن يؤثروا في المأمون فأعلنها عقيدة للدولة..

وقد كانت طريقة المعتزلة (مؤسسة على مكايلة اللفظ باللفظ، وموازنة الشيء بالشيء، والاعتماد على الجدال) (٢).

وكانوا يريدون للمتكلم البارع أن يأخذ نفسه بتعلم الثقافات إلى جانب الإحاطة التامة بعلوم الدين والعربية، يقول الجاحظ: «ولايكون المتكلم جامعاً لأقطار الكلام متمكناً في الصناعة، يصلح للرياسة، حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الذي يجمعهما».

وكلام الجاحظ هذا مفيد للغاية، فهو يوضح لنا الصورة المثلى التي كان عليها الأديب في القرنين الثاني والثالث، وما العتابي إلا ابن هذا القرن الثاني، وإن

---

(١) نشرها محمد كرد علي ضمن كتاب رسائل البلغاء.

(٢) المقابسات، طبعه مصر/ ٢٢٣.

عاصر أول الثالث، لكنه أخذ نفسه بما هو معروف من صفات أدباء العصر، فكان مثقفاً بكل ضروب الثقافة التي عرفت في عصره، ففي قنسرين والرقة أديرة للرهبان فيها مكتبات تضم كتباً سريانية مترجمة عن اليونانية، وفيها ثقافة إسلامية كبيرة، وفي البصرة والكوفة ومرو أشياء كثيرة جداً تفيد الباحث الذي يأخذ لنفسه أسباب العلم، وفي كل مساجد البلاد الإسلامية حلقات علمية، وجلسات ومناظرات تخرج العلماء والأدباء، ولكننا إلى كل هذا لم نجد في نثرة أو شعره مايثبت انتماءه إلى المتكلمين، وعلينا أن نفرق بين مدرسة المتكلمين، ومدرسة المنمقين المجملين من الكتاب والشعراء والمترجمين، الذين كانوا يأخذون الصنعة مذهباً، ولانعتقد العتابي إلا منهم، يتخذ لنثره التهذيب والتشذيب ولشعره البديع والزخرف، ولكنه لم يستطع التخلص من مورثاته العربية وبيئته وأحواله الاجتماعية، وعيشه بين أهله وبني عمّه من تغلب، فكان مزيج كل ماحوله من بيئة ومن مورّثات. ولابد من مناقشة (نثر العتابي) من خلال عدة نقاط تلقى مزيداً من الضوء على منهجه النثري.

١ ــ نشأ أبو عمرو العتابى في عصر نشأت الكتابة الفنية ونشاطها في قلم ابن المقفع وأمثاله فكان أن زحمت الشعر في اغراضه وفنونه حيث مدح بها الكتاب، وهجوا، وفخروا، واعتذروا، واستعطفوا، ورثوا واستخدموها في الحديث عن حالاتهم النفسية المختلفة فكانت الرسائل الاخوانية وما أشبهها.

ولم يكن ذلك لأن الكتابة أقدر من الشعر وأرحب منه ميداناً، وأطوع منه في التعبير عن حالات النفس.

وإنما لأن استجابة الناس للشعر ضعفت، وتأثرهم به، وانفعالهم عند سماعه ضعف أيضاً، ولعل في النفوذ الاعجمى وسلطانه في الدولة سبباً لذلك. ولقد استجاب العتابي لهذا الوضع فخطب وكتب وتكلم كثيراً، وألف كتباً ذكر ابن النديم (١) منها ستة.

ولعل فيها من نماذج الكتابة الفنية الشيء الكثير، غير أن مانحكم عليه هو الموجود

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ١٨١.

من نشره، فلقد روت كتب الأدب شيئاً من ذلك، وروت اخبار شيء مما لم تروه على ما سنتبينه ــ إن شاء الله [1] ــ وذلك أن العتابى قد استخدم النثر في أغراض شتى فمدح واستعطف وهجا وحاور وكاتب الأخوان وذلك كله في نثر اكتملت فيه أسباب الفصاحة والبلاغة شأنه في ذلك شأن شعره.

أقسام النثر العتابي :

ويمكن تقسيم ما أثر عنه في ميدان النثر إلى ثلاثة أقسام :

أ ــ رسائل　　　　ب ــ مناظرة

جـ ــ عبارات مقتضبة في الاجوبة وفي النصح والارشاد وما إلى ذلك ممايقع في أدب التوقيعات. وإذا تجاوزنا مجموعة النصوص القصيرة إلى الخطابة الطويلة فعلى الرغم من الثناء عليه بإجادتها وبلاغته وقوة تأثيره بها فلم يرو عنه شيء فيها فيما قرأناه.

وتدل أقوال العلماء عنه على أنه مُقدم في ميدان النثر [2] كتقديمه في ميدان الشعر.

---

(١) انظر في ذلك :
أ ــ البيان والتبيين للجاحظ ١٤١/٢.
ب ــ زهر الآداب للحصرى ٦٧٥/٣.
جـ ــ العقد لابن عبد ربه ١٧٥/٢.
د ــ جمهرة رسائل العرب ٣٩٨/٣، ٤٠٠، ٤٠١.
هـ ــ معجم الأدباء لياقوت ٢٦/١٧.
و ــ الصداقة والصديق لأبى حيان التوحيدى ٢٢.
ز ــ لباب الآداب ٥٥.
حـ ــ محاضرات الادباء للراغب الاصفهانى ٩٢/١.
ط ــ الاغانى لأبى الفرج ١١٥/٣، ١١١/١٣، ١١٣، ١١٤.
ي ــ السيرة لابن هشام ١٦١/٤.

(٢) انظر في ذلك مايلى :
أ ــ الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٦٣/٢.
ب ــ تاريخ بغداد للبغدادى ٤٨٨/١٢.

٢ ــ أن قولاً من أقوال العتابى في البلاغة رواه صاحب العقد هو الذي نبهنى ــ في الواقع ــ إلى الكتابة عن هذا الأديب الفحل، وهذا القول هو :

أ ــ (قال رجل للعتابى : ما البلاغة؟ قال : كل من بلّغك حاجته وأفهمك معناه،بلا إعادة ولاحُبْسة ولا استعانه، فهو بليغ. قالوا : قد فهمنا الإعادة والحُبسة، فما معنى الاستعانة؟ قال : أن يقول عند مقاطع كلامه : اسمع منّى، وافهم عنّى، أو يمسح عُثْنونه، أو يَفْيل أصابعه، أو يُكْثر التفاته من غير مُوجب، أو يتساعل من غير سُعلةَ، أو ينَبهر في كلامه) (١).

وروى المبرد (٢) (قال العتابى في اجابة على من سأله ما أقرب البلاغة؟ فقال : ألا يؤتى السامع من سوء افهام القائل ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع).

الألفاظ والمعاني :

ب ــ ونقل صاحب الصناعتين قولاً للعتابى سبق فيه نقاد العرب الذين شبهوا الكلام بالجسد والمعنى بالروح، أو شبهوا المعانى بالجوارى والالفاظ بالمعارض، وهم الجاحظ وابن رشيق، وابن طباطبا وغيرهم، فلقد قال العتابى: (الألفاظ أجساد، والمعانى أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخّراً، أو أخرت منها مقدماً أفسدت الصورة وغيرت المعنى، كما لو حول رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رِجْل، لتحولت الخِلْقة، وتغيرت الحِلْية) (٣) وعقب عليه ابو هلال نفسه بقوله:

= جـ ــ زهر الآداب للحصرى ٦٧٤/٣.
د ــ الاغانى لأبى الفرج ١٠٩/١٣.
هـ ــ معجم الادباء لياقوت الحموى ٢١٣/٦.
و ــ معجم الشعراء للمرزبانى ٣٥١/١.
ز ــ مروج الذهب للمسعودى ١٥/٤.
حـ ــ طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦٣.
ط ــ البيان والتبيين للجاحظ ٥/١.
(١) انظر العقد الفريد ٢٦٥/٢.
(٢) الكامل ١٢٨٩/٣.
(٣) الصناعتين ١٦١، ط ١٣٧١ ــ دار احياء الكتب العربية.

(وقد أحسن في هذا التمثيل وأعلم به على أن الذي ينبغي في صيغة الكلام وضع كل شيء منه في موضعه ليخرج بذلك من سوء النظم)[1].

وليس هذا من باب الوحدة العضوية[2] كما يفهمها المتأخرون الذين اخذوها بصورتها عن الغربيين الذين ورثوها في صورتها أيضاً عن اليونانيين.

وانما هي الوحدة التي عناها الحاتمى بقوله (إن مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، وباينه في صحة التركيب. غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه، وتعض معالمه). وقد سبق إلى نحو من هذا ابن طباطبا حيث قال: (وأحسن الشعر ماينتظم القول فيه انتظاماً ينسق به أوله مع آخره على ماينسقه قائله، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا اتفق تأليفها، فإن الشعر إذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها، والأمثال السائرة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمه.

بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وحسناً وفصاحة، وجزالة ألفاظ، ودقة معان، وصواب تأليف.

ويكون خروج الشاعر عن كل معنى يصنعه إلى غيره من المعانى خروجاً لطيفاً. حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً... لا تناقض في معانيها ولا وهي في مبانيها، ولا تكلف في نسجها، تقتضي كل كلمة مابعدها، ويكون مابعدها متعلقاً بها، مفتقراً إليها.

فإذا كان الشعر على هذا المثيل سبق السامع إلى قوافيه قبل أن ينتهى إليها رواية)[3]. ولم يزد الحاتمى إلا أن شبه القصيدة بجسم الإنسان. ولم يزد المتأخرون

---

(١) الصناعتين ١٦٢، ط ١٣٧١ ــ دار احياء الكتب العربية.

(٢) ممن قال بعكس قولنا الدكتور محمد أحمد النجار في كتابه العتابى ص ١١٩.

(٣) ابن طباطبا (عيار الشعر) ١٢٦.

من أهل زماننا إلا أن فهموا ذلك على أنه يعنى أن تكون القصيدة كالقصة تماماً وهذا يعنى اماتت الشعر الغنائى ليحل محله الشعر القصصى.

ولقد استثنى اليونانيون [١] الشعر الغنائى من شرط تحقق الوحدة العضوية فيه، والشعر العربي غنائى فالذي عناه العتابى والحاتمى وأمثالهما إنما هو تجانس الألفاظ والعبارات وانسجامها وعدم تنافرها، و يلحق بذلك الوحدة الشعورية والوحدة الموضوعية فإنها مما يطلب تحققه وإن خالف ذلك نظام القصيدة العربية وذلك لكونه لايخالف طبيعة الشعر العربي.

أما النثر فيختلف عن الشعر فما كان منه ذا صبغة قصصية أو شبه قصصية فإنه لابد فيه من الوحدة العضوية، ومثله الشعر القصصى وهو قليل في الشعر العربي القديم ومنه قصيدة الحطيئة :(وطاوى ثلاث) وكثيراً عند المتأخرين. والمقصود في نفى اشتراط تحقق الوحدة العضوية في الشعر العربي لا يعنى عدم إمكان وجودها، والفرق بين الأمرين واضح.

جـ ــ ويحد العتابى البلاغة بقوله (ليست البلاغة بالاكثار والاقلال، ولكن البلاغة سد الكلام بمعانيه وان قصر وحسن التأليف وإن طال) [٢] وهذا قول صائب لأن المهم في هذا هو الفصاحة، وحسن التأليف ومطابقة الكلام مقتضى الحال.

أما قوله فيما رواه الجاحظ [٣] (إظهار ماغُمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق) فإن أخذ على ظاهره فباطل وظلال، أما إذا فهم على أن مقصده في ذلك القدرة الفائقة على تصريف القول والتأثير في السامع فله وجه.

د ــ ثم هو لايرتاح للرأى الفطير بل يدعو إلى الروية والأناة والحرص على تخير المعانى والألفاظ، ولذا قال لمن سأله أن يكتب له رسالة فتباطأ فلامه على ذلك بقوله: (ما أرى بلاغتك إلا شاردة) قال العتابى (انى لما تناولت القلم تداعت على

---

(١) انظر النقد الأدبي عند اليونان، د.بدوي طبانه ط٢/ ص٢٠ ومابعد، القاهرة ١٣٨٩هـ.

(٢) اللباب ٣٤٩.

(٣) البيان والتبيين ١/١١٣.

المعانى من كل جهة، فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضع، ثم اجتنى لك أحسنها)[1].

والذين ينظرون إلى العمل بتعقل وتجرد قليلون عنده، ومن صنع عملاً فكرياً فقد استهدف سهام الناظرين في عمله وبخاصة أولئك الذين لم يستطيعوا التجرد من أهوائهم وحبهم وكرههم روى ابن عبد ربه للعتابى (من قرض الشعر أو وضع كتابا فقد استهدف للخصوم، واستشرف للألسن الا عند من نظر فيه بعين العدل، وحكم بغير الهوى، وقليل ماهم)[2].

وهذه قضية نقدية تناولها الكاتبون والمؤلفون قديماً وحديثاً ولم يفرغوا منها بعد، لأن القدرة على التجرد لايدركها إلا من منَّ الله عليه بأن يكون حكماً عدلاً يعطى كل ذي حق حقه، وقليل ماهم.

(١) انظر العقد ١٧٤/٤.

(٢) العقد الفريد ٣/١.

القسم الثاني

النصوص الأدبية للعتابي

الشعر والنثر

لقد جمعت ما أمكن جمعه من نصوص شعر العتابى ونصوص نثره متتبعاً في ذلك كتب التراث التي تهتم بذلك.

وقد بدا لى ــ والله اعلم ــ أن العلماء لم يهتموا ــ كثيراً ــ بإيراد نصوص طوال لتوافر كتب العتابى بين ايديهم إذ ذاك، ومن هنا كانوا يكتفون بموطن الشاهد والمثل ونحو ذلك مما يقصدون إليه.

وجل ما اوردوا من ذلك كان في سياق خبر ونحوه، وقد ناقشت هذه النصوص على ضوء النقاط التالية:

١ ــ ولقد حرصت على توثيق كل نص بالإشارة إلى مصدره، وقد أشير إلى اكثر من مصدر وبخاصة إذا اشتمل ذلك على شيء من الاختلاف. وقد اكتفى بالمصدر الواحد إذا التقى مع غيره على النص.

٢ ــ ومما حرصت عليه أيضاً الضبط بالشكل وبخاصة مايغلب على الذهن احتياجه إلى ذلك.

٣ ــ ومثل ذلك شرح المفردات التي لايدرك القارىء العادى معناها.

٤ ــ أما اختلاف الروايات فقد اشرت إلى مايظهر فيه اختلاف المعنى أو زيادة فيه.

٥ ــ وإذا عثرت على بيت مفرد، وغلب على ذهنى أنه من احدى القصائد تحريت موضعه منها ووضعته فيه، ولم يحدث ذلك إلا لبيت واحد هو:

يا ليلة لى بحوارين ساهرة   حتى تكلم في الصبح العصافير

فإن الوزن والقافية والموضوع والحس الشعرى كلها توحى بأن هذا البيت من تلك القصيدة وهي الاعتذارية التي خاطب فيها العتابى هارون الرشيد ومطلعها:

ماذا شجاك بحُوَّارين[1] من طللٍ   ودمنةٍ كشفت عنها الأعاصير

(١) مكان قرب حلب سبقت ترجمته في هذا الكتاب.

الفصل الأول
نصوص الشعر

١- المدح والاعتذار
٢- الغزل
٣- الهجاء
٤- الوصف
٥- الحكمة
٦- الإخوانيات
٧- العتب
٨- الشكوى
٩- النصح
١٠- التوديع
١١- الاستجداء
١٢- متفرقات

ا ـ المدح والاعتذار

زار العتابى عبد الله بن طاهر بن الحسين فمدحه بقوله :

حُسن ظنى وحسنُ ماعوّد اللـ ـهُ سِواي منك الغداةَ أتى بى
أيُّ شيء يكونُ أحسن من حُـ ـسنِ يقينٍ حدا إليك رِكابى

فأجازه، ثم زاره في اليوم الثاني ومدحه بقوله :

ودكُّ يكفينيك في حاجتى ورؤيتى كافيةٌ عن سؤالْ
وكيف أخشَى الفقر ماعشتَ لي وإنَّما كفّاك لى بيت مالْ

فأجازه وفي اليوم الثالث زاره ومدحه بقوله :

بَهجات الثِّيابِ يُخلِقها الدّهـ ـرُ وثوبُ الثّناءِ غضٌّ جديدُ
فاكْسنى مايَبْيد أصلحَكَ اللـ ـهُ فالله يكسُوك مالا يبيدُ

فأمر له بجائزةٍ، وأنعم عليه بخلْعةٍ سنيةٍ (١).

وروى له في بعض الكتب قوله (٢) :

حُسنُ ظنى إليكَ، أكرمك الله دعانى، فلا عدمت الصلاحا
ودعانى إليك قول رسول اللـ ـه إذ قال مُفْصِحا أفصاحا

(١) انظر الاغانى ج ١٣/١١٦، ١١٧.
(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٢/٤٦٣.

إن أردتم حوائجا عند قوم ... فتنقوا لها الوجوه الصباحا
ولعمرى لقد تخيرت وجها ... مابه خاب من أراد النجاحا

وقال في مدح هارون الرشيد (١) :

ماذا شجاكَ بحُوَّارين من طللٍ ... ودمنةٍ كشفت عنها الأعاصيرُ (٢)
شجاكَ حتى ضميرُ القلب مشترَكٌ ... والعين إنسانها بالماء مغمورُ (٣)
في ناظرىّ انقباضٌ عن جفونها ... وفي الجفون عن الآماق تقصير (٤)
يا ليلة لى بحوارين ساهرة ... حتى تكلم في الصبح العصافير
لوكنت تدرين ماشوقى إذا جَعَلتْ ... تنأى (٥) بناوبك الأوطانُ والدورُ
علمتِ أن سُرَى ليلى ومُطلعى ... من بيت نجران والغَوْرَين تغوير (٦)
إذِ الركائبُ مَخْسوفٌ نواظرها ... كما تضمّنت الدُّهنَ القواريرُ (٧)
نادتك أرحامُنا اللاتى نَمُتُّ بها ... كما تنادى جِلادَ الجِلّة الخورُ (٨)
مُستنبط عَزَماتِ القلبِ من فِكرٍ ... مابينهنَّ وبينَ الله معمورُ

(١) الاغانى ١٣/١٢٤، ١٢٥.
(٢) بحوارين : بضم أوله وتشديد الواو وكسر الراء وياء ساكنة وهى قرية من قرى حلب. والدمنة : آثار الدار روى ابن المعتز حسرت بدل كشفت.
(٣) انسانها : مايرى في سواد العين أو سوادها فله.
(٤) الاماق : جمع موق وهو مجرى الدمع في العين.
(٥) تنأى : تبعد.
(٦) سرى : السير في الليل. ونجران : موضع في البحرين وموضع في جنوب السعودية وموضع قرب دمشق والأخير هو المقصود. تغوير: الدخول في الغور.
(٧) مخسوفة : غابت عيونها من الضعف والهزال.
(٨) الخور : الناقة الغزيرة اللبن.

فُـتَّ المادح إلا أنّ أنـفـسـنـا مـسـتـنـطَـقـاتٌ بما تحوى الضَّـمـائـرُ

مـاذا عَـسى مـادحٌ يُثنى عليك وقد نـاداك فـي الـوحـى تـقـديسٌ وتـطـهير

إن كـان مـنّـا ذَوُو إفكٍ ومـارقـةٌ وعـصـبـةٌ دينُـهـا العُدوانُ والزُّور [1]

فـإنّ مـنّـا الـذي لايستَحَـثُّ إذا حُـثَّ الجـيـاد وحَـازتها المضامير[2]

ومـن عرائقه السّفّاح عـنـدكـم مجـرّبٌ مـن بَـلاء الـصِّدق مخبور[3]

الآن قد بـعـدت في خطوِ طاعتكم خُـطاهـم حيثُ يحتـل الـغـشـامير[4]

وله في المدح والثناء [5] :

فـلو كـان للشكرِ شخصٌ يَبِينُ إذَا مـا تـأمّـلَـه الـنّـاظـرُ

لمـثَّـلـتُـه لـك حـتّـى تـراه لِـتـعـلـم أنـى امـرؤٌ شـاكـرُ

لـكـنـه سـاكـنٌ فـي الـضـمـير يحـركـه الـكـلـمُ الـسـائـرِ

وقال [6] :

فإن تـك حمى الـغـور شفَّـك غبها فـعـقـبـاك منها أن يطول لك العمر

وقـيـنـاك لو يعطى الهوى فيك والمنى وكـانـت بـك الشكوى وكان لك الأجر

---

(١) الافك : البهتان. المارقة : الخارجة على الدين. عصبة : عصبة الرجل قومه اجتمعوا واحاطوا به.

(٢) حازتها : ضمنتها وجمعتها وحصلت عليها. المضامير : جمع مضمار وهو الموضع الذي تضمر فيه الخيل وروى «وضمتها المضامير».وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ج٢/٨٦٣ ويستجاد قوله في الرشيد، ثم ذكر هذاالبيت.

(٣) مجرب : كثير الممارسة ومرت عليه أحداث عظام. مخبور : مختبر.

(٤) الغشامير : من الغشمرة وهي التهضم والظلم.

(٥) الاغانى ١٣/١١٠.

(٦) المنتحل ٢٨٠. تحقيق محمد ابو علي ١٩٠١.

أراد هارون الرشيد قتل العتابى حين وشى به إليه منصور النمرى فاستوهب جعفر بن يحيى دمه فوهبه اياه، فمدح العتابى جعفراً بهذين البيتين[1] :

مازلتُ في غَمَرات الموتِ مُطَّرَحا قد ضاق عنى فسيحُ الأرض من حِيَلي
ولم تَزلْ دائباً تَسعَى بلُطْفِك لى حتَّى اختلست حياتى من يَديْ أجلي

ومدح الحسن بن عمران بقوله[2] :

ناهضتُ بالحَسَنِ بن عمران العُلَى وتنبهتْ لذكائِهِ آمالى
سَكَتَاتُهُ عِدَةٌ وفي نطقاتِه تفريقٌ بين قرائن الأموالِ
لما لجأتُ إلى ذُراك وأشرفت عُنُقٌ من الحدِثان قلتُ نَزالِ

وقال يمدح الربيع[3] :

ومعضلةٍ قام الربيع إزاءها ليُغْمِد ركن الدِّين لما تَهَدَّمَا
بمكة والمنصور رهن كما أتى أخا الوحْى داعى رَبّه فتقدَّما
غداةَ عداةُ الدين شاحذةُ المُدى إليه وغُولُ الحربِ فاغِرةٌ فَمَا

وقال يمدح الرشيد[4] :

إمامٌ له كَفٌ يضُمُّ بَنَانُها عَصا الدينِ ممنوعاً من البَرْيِ عودُها
وعَيْنٌ محيطٌ بالبرَّية طَرْفُها سواءٌ عليه قُرْبُها وبَعيدُها
وأَصْمَعُ يقظانٌ يبيت مناجياً له في الحَشَا مستودَعاتٌ يكيدها

(١) الاغانى ١١٩/١٣.
(٢) كتاب البديع لعبد الله بن المعتز ١٨.
(٣) زهر الآداب ٥٤٢/١.
(٤) العصر العباسي الأول ٤٢٢.

سميعٌ إذا ناداه في قَعْر كُرْبةٍ مناد كفته دعوةٌ لايعيدها

وقال في مدح الرشيد أيضاً (١) :

وكنتُ امرأً هَيَّابَةً تَسْتَفِزّني رِضاعى بأدنَى ضَجْعَةٍ أستلينُها

أُوافى أميرَ المؤمنين بِهِمَّةٍ تَوَقَّلُ في نَيلِ المَعَالى فُنُونُها

رَعى أُمَّةَ الإسلام فهو إمامُها وأدَّى إليها الحقَّ فهو أمينُها

ويَستَنتج العقماء حتَّى كأنما تَغَلْغَلَ في حيثُ استَقَرّ جنينُها

وماكل مَوصوفٍ لَهُ الحق يَهتَدِي ولاكل مَن أمّ الصُّوَى يَسْتَبِينُها

مقيم بمُستنِّ العُلا، حيثُ تَلْتقى طوارقُ أبكارِ الخُطُوبِ وعُونُها

وقال يمدح موسى الهادى حين حاز الصمصامة(٢) :

حاز صمصامة الزبيدى عمرو من جميع الأنام موسى الأمين

سيف عمرو وكان فيما سمعنا خير ما اطبقت عليه الجفون

وشى المنصور النمرى ـ كما عرفت في خبره معه في المبحث الأول ـ بالعتابى لدى هارون الرشيد فأراد قتله إلا أن الفضل بن الربيع استوهبه دمه فاعتذر العتابى إلى الرشيد بهذه الأبيات (٣) :

وأَشْعَثَ مشتاق رمَى في جفونه غريب الكَرى بين الفِجَاج السباسِبِ (٤)

أمات الليالى شوقه غير زفرةٍ تردَّدُ مابين الحشا والتَّرَائِبِ (٥)

(١) الحيوان ٣/٦٣.

(٢) المتع في علم الشعر وعمله ١٧٠.

(٣) زهر الآداب ٣/٦٧٨، ٦٧٩.

(٤) الاشعث : المغبر الرأس. والفجاج : الطرق الواسعة بين الجبلين. والسباسب : الأرض البعيدة المستوية.

(٥) زفر : التنفس مع مد النفس. الحشا : ما انضمت عليه الضلوع. الترائب : عظام الصدر.
وفي هذا الخبر اضطراب، فقد ذكر أن الذي استوهبه دمه من الرشيد هو جعفر بن يحيى، وذكر الفضل بن الربيع، والمدحتان مختلفتان، وربما تكرر الموضوع.

أجـدّ ولـمَّا يجمع الليلَ شمْلهُ فـا حـلّ إلا وهـو وردُ الـغـوارب

سَحَبْتُ له ذَيْلَ السُّرَى وهو لابسٌ دُجَى الليل حتى مجّ ضوءَ الكواكب[1]

ومـن فوقِ أكوارِ المـهارى لبـانـةٌ أُحِـل لهـا أكلُ الذّرَى والغَوَاربِ[2]

وكـلُّ فتـى عـاداتـهُ قَصْر شَوْقِه وطىُّ الحشـا دونَ الهموم العوازِب[3]

يُسرّ الـهَوَى لم يُبْدِه نعت فرقةٍ صُراخاً ولم تسمَعْ به أُذْنُ صاحبِ[4]

إذا ادّرع اللـيـل انْـجَلى وكـأنّه بـقـيةُ هنديٍّ الحسام المضارب[5]

بركْبٍ ترى كَسْر الكرى في جفونهم وعَـهدَ الليـالي في وجوهٍ مَشَاحبِ[6]

جعلتُ رجَاء العفوِ عذراً وشُبْتُهُ بهـيـبـة إمَّـا غـافِرٍ أو مُـعَـاتبِ[7]

وكنتُ إذا ماخفت حادثَ نَبْوَةٍ جعلتك حِصْناً من حذَارِ النوّائبِ[8]

فأنْزَلَ بِى هِجرانُك اليأسَ بعدما حللتُ بوادٍ منك رَحْبِ المشاربِ[9]

أظـل ومَـرْعَـاىَ الجديبُ مكـانَه وآوِى إلـى حافات أكدرَ نـاَضِب[10]

---

(١) مج : المج هو قذف الماء من الفم ومعناه هنا ملء.

(٢) اكوار : جمع كور وهو الرحل. المهارى : مهرة بن حيدان حى وتنسب له ابل تسمى بهذا الاسم. لبانة: هى الحاجة من غير ناقة. الذرى : سنام الابل. الغوارب : جمع غارب وهو مابين السنام والعنق.

(٣) العوازب : البعيدة.

(٤) يسر : يكتمه. يبده : يظهره.

(٥) أدرع : أى لبس. المضارب : أى قائل به صاحبه مرات كثيرة.

(٦) كسر : اى انكسار وغلبه نعاس. الكرى : النوم. شحب : تغير من تعب. «وروى صاحب الصناعتين الفيافي بدل الليالى وشواحب بدل مشاحب».

(٧) شبته : خلطته.

(٨) النبوة : نبا السيف أى ارتفع عن مكانه ولم يؤثر. الحذار : هو الاحتزاز.

(٩) رحب : واسع.

(١٠) ناضب : أى غار الماء فقل.

ولم يثن عن نفسى الردَى غير أنها … تنوءُ بباقٍ من رجائك ثائب[1]
هى النفسُ محبوسٌ عليك رجاؤُها … مقيدة الآمالِ دون المطالبِ
وتحت ثياب الصبر منى ابنُ لَوْعةٍ … يظلُّ ويُمْسِى مستَلين الجوانب
فتى ظفِرَتْ منه الليالى بزلَّةٍ … فأقْلَعْنَ عنه داميات المخالب
حنانيك إنى لم أكُنْ بعت عِزَّة … بذُلٍّ وأحرزتُ المنى بالمواهبِ
فقد سُمتنى الهجران حتى أذقتنى … عقُوبةَ زلاّتى وسوءَ مناقِب[2]
فها أنا مُقْصى في رِضَاك وقابضٌ … على حدّ مصقولِ الذبابيْن قاضِبِ[3]
ومنتزعٌ عما كرِهت وجاعلٌ … هواكَ مثالا بين عينِي وحاجبى

وله[4] :

رَحلَ الرجاءُ إليكَ مُغتربا … حُشِدتْ عليهِ نوائبُ الدَّهرِ
رَدَّتْ إليكَ نَدَامتى أمَلى … وثَنَى إليْك عِنَانَهُ شُكْرى[5]
وَجَعَلْتُ عتْبُكَ عَتْبَ مَوْعِظَةٍ … وَرجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتهى عُذْرِي

---

(١) ثائب : اجتماع الماء في الحوض.

(٢) هذه الأبيات أوردها الاغانى ١٢٠/١٣ لكنه اختلف عن رواية زهر الآداب الواردة في النص واليك رواية الاغانى :

لقد سُمْتَنى الهجرانَ حتى أذقتنى … عقوبات زلاّتي وسُوء مناقبى
فها أنا ساعٍ في هواك وصابرٌ … على حدِّ مصقولِ الغرارين قاضب
ومنصرف عما كرهت وجاعلٌ … رِضاك مِثالاً بين عينى وحاجبى

(٣) الذنابين : حدى السيف.

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبه ٨٦٣/٢، طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦٢ وفي هذان المصدرين البيتان الثاني والثالث. الحيوان ٤٨٣/٣.

(٥) الندامة : التندم على فعل والأسف والتحسر. والعنان : هو حبل يوضع في رؤوس الدواب تقاد به.

وقال يعتذر من هارون الرشيد [1] :

اخِضْنِي المقام الغَمْرَ إن كان غرّني ... سنا خُلّبٍ أو زلّتِ القدمان [2]

اتتركُني جَدبَ المعيشةِ مُقْتِراً ... وكفّاك من ماء الندى تكفِان [3]

وتجعلُني سَهْمَ المطامع بعد ما ... بللّت يميني بالنّدىَ ولساني

(١) الاغانى ١٣/١١٣.

(٢) اخضني : ادخلنى في النعمة واجعلنى أخوض فيها. الغمر : المبالغة في الاحسان. غرنى : خدعنى. سنا : اضاءة البرق. خلب : السحاب لامطر فيه.

(٣) مقترا : يضيق العيش عليه. الندى : الكريم.

٢ ـ الغـــــزل

طلبت منه جارية نظم أبيات على نسق البيت :

اذا شئت أن تقلى فزر متواترا ... وان شئت أن تزداد حباً فزرغبّا

فأجابها بقوله[١] :

بقيتُ بلا قلبٍ لأنّى هائمٌ ... فهلْ من معيرٍ ياخلوبُ بكم قلبا
حلفتُ لها بالله أنكِ منيتى ... فكونى لعينى حيث مانظرت نصبا
عسى اللهُ يوماً أنْ يرُيَنَكِ خَاليًا ... فاجنى بلَحْظٍ من محاسنكم عجبا
يقولون لاتكثُرْ زيارة صاحبٍ ... فإنّك إنْ أكثرته كره القُربا
وكيف يطيقُ الصبُّ سلوان حبه ... إذا كان مشغوفاً قد استشعر الكربا
وقد قال بيتا ماسمعت بمثلهِ ... خلى من الاحزان لم يذق الحبّا
إذا شئت أن تُقلى فزر متواترا ... وإن شئت أن تزداد حبا فزرغبّا

ولـــــه[٢] :

تجنبَ دارَ العامرية إنّها ... تكلفه عهْدَ الصِّبا والكواعبِ
منازل لم تنظرْ بها العينُ نظرةً ... فتقلعُ الا عن دموعٍ سواكبِ
ولا وصلٍ إلاّ أن تُعاجَ مطيةٌ ... على دارسِ الأعلامِ عافى الملاعبِ

(١) الموشح ٤٨.
(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦٢.

ولـــــــه[1] :

صـدت نـوار فـصـد واجـتـنـبا وطـوت فـأعـرض دونهـا الـسـبـبـا

فـكـأنمـا وصـلـت بمـقـلـتـه تـمـثـالهـا مـن حـيـث مـاذهـبـا

ذكر ابن المعتز أن للشاعر قصيدة غزلية طويلة منها هذا البيت الذي لم يورد ابن المعتز منها سواه[2] :

رمى القلب يأس من سليمى فأقصدا وكـان بهـا هـيـامة القلب مهندا

ولـــــــه[3] :

رُسُـل الـضَّـمير إلـيـك تَـتْـرى بـالـشَّـوق ظـالـعـة وحَـسْـرَى

مـتـزجِّـيـاتٍ مـايـنـيـنَ عـلـى الـوَجَـى مـن بـعـد مَـشْـرى

مـاجَـفّ للـعـيـنين بَـعْـ ـدك يـاقـريـرَ الـعين مَجْـرى

فـاسـلَـمْ سـلِـمـت مـبـرّأ مـن صَـبـوتـي أبـداً مُـعَّـرى

إن الـصـبـابـة لم تـدع مـنـي سـوى عـظـمٍ مُـبَـرَّى

ومـدامـعٍ عَـبْـرَى عـلـى كَـبِـدٍ عـلـيـك الـدّهـر حَـرّى

ولـــــــه[4] :

عـرفت مـصيفاً من سُلَيمى وَمرْبَعاً بِـذِرْوة نَـمُّـوذ فـأكـنـافِ بَـلْـتَـعَا

بلادٌ تَـشَـتَّـاهـا الـوحـوشُ وتـرتَـعى قِوَاماً من البُـهْـمى وجـأراً مُدعدعا

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦٣.
(٢) المرجع السابق.
(٣) .الاغاني ١٣/١١٠.
(٤) طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦٣.

تـرودُ بهـا الأُدم المتـالـى وربمـا   تـراهـا مَـحَـلاً من أُنـاس وَمجْـمعَـا

وهـذه أبيات من الغزل انشدها أمام بشار بن بُرد في سوق المربد بالبصرة، ولعله كـان يريد حكمه ونصحه وتوجيهه فنفث عليه بشار[1]، وقد مر بك الخبر في المبحث الأول :

أيَـصـدِفُ عـن أمـامـةَ أم يُـقيم   وعـهـدُك بـالـصِّبـا عـهـدٌ قـديـمُ

أقـول لِـمُـستَـعارِ القَـلبِ عَـفًّى   عـلـى عَـزَمـاتِـه الـسَّيـرُ الـعـديـمُ

أمـا يـكـفـيـكَ أنّ دموعَ عيـنـى   شآبـيـبٌ يـفـيـض بهـا الهـمـوم

أشِـيـمُ فـلا أردُّ الـطـرف إلاّ   عـلـى أرجـائـهِ مـاءٌ سَـجُـوم

ولـــه[2] :

بـكـى واستَملَّ الشّوق مِنْ في حمامةٍ   أبَتْ في غصون الأيـكِ إلاّ الترنُّماَ

ولـــه[3] :

أمـا راعَ قـلْبَ العـامريـةِ أننى   غـدوتُ ومرجـوعُ الـسـقـامِ قـريـنـى

أُكـاتـمُ لوعات الـهَوى ويـبـيـنُها   تخـلّل مـاءِ الـشـوق بين جُـفُـونـى

ومطروفة الإنـسـان في كـل لوعة   لهـا نـظـرةٌ مـوصـولـة بحـنَيـن

ولـــه :

مـضـت عـلى عـهده الليـالي   وأحـدثـت بـعـده أمـور

واعـتـاض بـاليـأس عنـه صبـرا   واعـتـدل الحـزن والـسـرور

(١) الاغانى ١٣/١١٣.
(٢) مشكلة السرقات في النقد العربي ١٤٦.
(٣) زهر الآداب ٢/٦٢٥.

٣ ـ الهجـــــاء

تتلمذ منصور النمرى على العتابى وكان العتابى يحسن إليه، وفي يوم وشى النمرى بأستاذه العتابى عند الرشيد، فهجره العتابى وأراد طاهر بن الحسين الاصلاح بينهما، فلما رأى العتابى منصور النمرى خاطبه بهذه الأبيات التي فيها هجاء وعتب، لكن الهجاء فيها أظهر، قال العتابي (١) :

أصْحَبْتُك الفضلَ إذ لا أنت تعرِفُه ... حقّاً ولا لك في استِصحابه أرَبُ

لم تَر تَبِطْك على وَصلي محافَظَة ... ولا أعاذَكَ مما اغتالك الأدَبُ

مامِن جَميلٍ ولاعُرفٍ نطقتَ به ... إلا إلىّ وإن أنكرتَ ينتسِبُ

وله في هجاء البرامكة (٢) :

إن البَرَامِكَ لاتنفكُّ أَنْجِيَة ... بصفحة الدّين من نجواهُمُ ندبُ

تجرّمَتْ حججٌ منهم ومُنْصلُهم ... مضرَّج بدم الإسلام مختضِبُ

ولـــــه (٣) :

حِجَابُكَ ليس يشبهُهُ حِجاب ... وخيرُك دونَ مطلبه السحاب

ونومُكَ نوم من ورد المنايا ... فليس له إلى الدنيا إياب

ولـــــه (٤) :

تَساوَى أهلُ دهرِك في المساوى ... فما يستحسنون سوى القبيح

---

(١) الاغانى ١١٨/١٣.

(٢) زهر الآداب ٦٢١/٢.

(٣) العقد الفريد ٥٦/١.

(٤) غرر الخصائص الواضحة ٢٦٠، العتابى ٨٢.

وصار الناس كلهم غُثَاءً   فما يُرْجَونَ للأمر النجيح
وأضحى الجودُ عندهم جنوناً   فما يستعقلون سوى الشحيح
وكانوا يغضبون من الأهاجى   فصاروا يغضبون من المديح

وله في هجاء أبى العباس عبدالله السفاح، وتنسب إلى بشار، لكن بعضهم رجح صدق نسبتها إلى العتابى(١) :

ظل اليسار على العباس ممدود   وقلبه أبدا بالبخل معقود
أن الكريم ليخفى عنك عسرته   حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل   زرق العيون عليها أوجه سود
اذا تكرمت عن بذل القليل ولم   تقدر على سعة لم يظهر الجود

وله(٢) :

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة   فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء منك مخازيا   من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وحين عزل طاهر بن علي هجاه العتابى بهذه الأبيات(٣) :

ياصاحبناً متلوِّناً   متباينا فِعلى وفعلُه
ما إنْ أحبُّ له الرّدَى   ويَسُرُّني والله عزْلُه
لم تَعْدُ فيا قلتَ لى   وفعلتَ بى ما أنت أهلُهُ

(١) تاريخ بغداد ٤٩١/١٢، الأمالى ١٣٥/٢. وانظر ص١٥٢ من كتابنا هذا «التعقيب على النص».
(٢) شرح المضنون به على غير أهله ٥٣٤.
(٣) الاغاني ١١٩/١٣.

كَم شاغلٍ بك عَدْوتَيه وفارغٌ مَنْ أنت شُغلُه

وقال يهجو جاهلا مربه وهو يقرأ في كتاب فسخر منه بقوله «ايش ينفع العلم والأدب من لامال له» :

ياقاتل الله أقواماً إذا ثَقِفُوا ذا اللبِّ ينظر في الآداب والحكم
قالوا وليس بِهِم الاّ نفاستُه أنافعٌ ذا من الاقتار والعَدَم
وليس يَدْرُون أنّ الحظَّ ما حُرِموا لحاهم الله، مِنْ عِلم ومِن فَهَم

وقال يهجو رجلا [1] :

فكم نعمةٍ آتاكها الله جزلةً مبرّأة من كل خُلقٍ يُذيمُها
فسلطتَ أخلاقاً عليها ذميمةً تعاورنها حتّى تعرّى أديمُهَا
وَلُوعاً واشفاقاً ونطقاً من الخنا بعوراء يجْرى في الرجال نميمها
وكنت امرءاً لو شئت أن تبلغَ المدى بلغت بأدنى نعمةٍ تستديمُها
ولكن فطِامُ النفس اثقلُ محملا من الصَّخْرةِ الصّماء حين ترومُها

وله [2] :

بغيت فلم تقع الا صريعا كذاك البغى يصرع كل باغى

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ١/٥٩٧.
(٢) البديع لابن المعتز ٥/٣٦٧.

٤ ـ الوصــــف

قال في وصف حاله مكاتباً بها تلميذه منصور النمرى[(١)] :

تـقضت لبُاناتٌ ولاح مشيبُ — وأشفَى على شمسِ النّهار غروبُ
وودَّعت إخوانَ الصِّبا وتصرّمت — غَوايـة قلـبٍ كانَ وهو طروبُ[(٢)]
ورُدّت على الساقى تفيض وربَّما — رددت عليه الكاس وهى سليب[(٣)]
وممّا يَهِيج الشوق لى فيَرُدّه — خفيفٌ على أيدى القِيان صَخوبُ[(٤)]
عَطَوْن بِهِ حتّى جرى في أديمه — أصابيغ في لبّاتهنّ وطيبُ[(٥)]

وقال في وصف حاله، وفيها لفحة تشاؤم و يأس[(٦)] :

لو رأتنى بذى المَحَارَةِ فَرْداً — وذِراعُ ابنة الفَلاَة وسَادِى[(٧)]
أُطْفئُ الحزنَ بالدموع إذا ما — حُمَةُ الشوقِ أثّرتْ في فُؤادى[(٨)]
خاشع الطرف قد توشّحنى الضرّ — فلانَتْ له قَنَاةُ قِيَادى[(٩)]
تِرْب بُؤْس أخا هموم كأنّ الـ — ـحُزْنَ والبؤسَ وَافيا مِيلاَدِى[(١٠)]

---

(١) الاغانى ١٣/١٥٤.

(٢) تصرمت : تقطعت، وروى تغرمت، وروى بدل طروب حروب في هامش الاغانى ١٣/١٥٤.

(٣) السليب : الفارغ.

(٤) الخفيف : يعنى به العود.

(٥) عطونَ به : تناولنه ومددن أعناقهن. أصابيغ : جمع الجمع عنى به الزعفران ونحوه من الطيب ذى اللون. واللبات : مواضع النحر.

(٦) زهر الآداب ٢/٦٢٤، ٦٢٥. ط ١٣٨٩ تحقيق البجاوى.

(٧) ابنة الفلاة : الناقة.

(٨) حمة الشوق : حرارة الشوق.

(٩) توشحنى : تقلدني وهو في الاصل الشد من العاتق إلى الكشح.

(١٠) ترب : الترب من ولد معك وهو الصديق والخليل.

وكأنى استشعرت مالفظ النا س من النائرَاتِ والأحقادِ

أتصدّى الرَّدَى وأدّرِع الليـ ـل بهَوْجَاء فوقها أقْتَادِى[1]

حَظُّ عينى من الكرى خفقاتٌ بين سَرْجِي ومُنْحَنَى أعْوَادِى[2]

أوْحَشَ الناسُ جانبيَّ فما آ نَسُ إلاّ بوحدتى وانفرادى

قد رددت الذي به أتقى النا س وأبرزتُ للزمان سَوَادِى[3]

فا ستهلّتْ علىّ تمطرنى الشو ق شآبيب مُزْنةٍ مِرْعَادِ[4]

ولـه في وصف الكتب[5] :

لنا ندماءٌ مانَمَلُّ حَدِيثهمْ أمِينُون مَأمُونونَ غَيْبَا ومَشْهَدَا

يُفِيدُونَنَا مِنْ علمهمْ عِلْمَ مامضَى وَرَأياً وتأدِيباً وأمْراً مُسدَّدَا

بِلا علَّةٍ تُخْشَى ولا خوفِ ريبة ولا نَتَّقِى منهم بَنَانَا ولايَدا

فإنْ قُلْتَ هُمْ أحياء لستَ بكاذبٍ وإنْ قُلْتَ هم مَوْتَى فلست مُفَنَّدَا

وله في تصوير النقع المنعقد على رؤوس المقاتلين :

تبنى سنابكُهم من فوق أرؤسهم سقفا كواكبه البِيضُ المبَاتير[6]

---

(١) الردى : المهالك. وأدرع الليل : سار في ظلام الليل. وهوجاء : الطويلة السريعة القوية. أقتادى : يقصد رحله.

(٢) سرحى : مرجلى فوق الناقة.

(٣) سوادى : حالتى السوداء.

(٤) مرعاد : كثيرة الرعد.

(٥) الشعر والشعراء د. مصطفى الشكعة ٤٩٩.

(٦) الحيوان ١٢٧/٣، وفي رواية أخرى «مدت سنابكها» و«ليلا كواكبه». وانظر ص ١٤٥ من هذا البحث.

وهو عندى أجمل من قول بشار :

كأنَّ مُثارَ النَّقْع فوقَ رُؤُوسِهِمْ ... وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

مع كون الصورة عند بشار أشمل وأدق إلا أن نسج العتابى أجمل من قول بشار ومن قول النمري.

ولـه في وصف حاله[1] :

إنّي امرؤٌ هَدَم الإقتارُ مأثُرَتِي ... واجتاحَ مابَنَتِ الأيامُ من خَطَرِي[2]

أيامَ عمرُو بنُ كلثوم يسوِّدُه ... حَيَّا ربيعةَ والأفْناءُ من مُضرِ[3]

أرُومةٌ عطَّلتْنِي مِن مكارِمها ... كالقَوس عَطَّلها الرّامى مِن الوترِ[4]

نَهى ظِرَافَ الغَوانِي عن مُواصَلتى ... مايفجَأُ العينَ من شَيبى ومن قِصَرى

ولـه[5] :

كما تقاذف جُردٌ في أعنتِها ... سَبْقاً بآذانِها مرّاً وبالعُذُرِ

وقال في وصف حاله وفيها حكمة :[6]

اذا سَرّنِي دَهْرِى قبلتُ وإن أبى ... أبَيْتُ عليه أنْ أضيقَ له صَدْرَا

فكمْ من مسيء قد لقيتُ ومحسنٍ ... فأوسعتُ ذا حِلمًا وأوسعتُ ذا شُكْراً

(١) البيان والتبيين ٥١/١.
(٢) الاقتار : قلة المال. ومأثرتى : المأثرة هى المفخرة والمآثر المفاخر.
(٣) الأفناء : الأخلاط من القبائل.
(٤) أرومة : الأصل الطيب.
(٥) آمالى المرتضى ١٠٢/١.
(٦) بهجة المجالس وأنس المجالس ٦٠٥/١.

وله في وصف أذني الفرس : [1]

تخـال أذنيـه اذا تـشـوّفـا قـادمـة أو قـلـما محـرّفـا

وله في الخمرة : [2]

يـاسـاقـيـا خـصنـى بما تهواه لاتـمـزج اقـداحـي رعـاك الله

دعـا صـرفـا فـانـنـى أمـزجـهـا اذا أشـربهـا بـذكـر مـن أهـواه

وله في وصف السحاب وما يصحبه من برق وريح ومطر وما إلى ذلك [3] :

أرِقـتُ للـبـرق يخـفـى ثم يـأْتـلـقُ يخـفـيـه طوْرا ويُـبْـدِيه لـنـا الأفقُ [4]

كـأنّـه غُـرّةٌ شـهـبـاءُ لائـحـةٌ فـي وجـهِ دهـماءَ مـافـي جِـلْدِهَا بلَقُ [5]

أو ثـغْـرُ زُنْـجـيـةٍ تَـفْـتَـرُ ضـاحـكـةً تـبـدو مشـافِـرُهَا طـورا وتـنـطـبـقُ [6]

أو سـلّـةُ الـبـيـضِ في جأواء مُظلمةٍ وقـد تـلـقّـتْ ظُـباها البِيضُ والدرقُ [7]

والـغـيـمُ كـالثوبِ في الآفاق منتشرٌ مـن فـوقـهِ طَـبَـقٌ مـن تحتـهِ طَـبَـقُ

تَـظَـنّـهُ مُـصْـمـتـاً لافـتْـقَ فـيـه فـإنْ سـالـتْ عـواليه قلتَ : الثوبُ منفتقُ [8]

---

(١) العقد الفريد ٣٦٧/٥.

(٢) الشعر والشعراء/ مصطفى الشكعة ٥١٨.

(٣) ديوان المعانى ٩/٢.

(٤) ارقت : ذهب عنه النوم، ويأتلق : يلمع.

(٥) غرة : البياض في جبهة الفرس. ودهماء : الشديدة السواد. البلق : السواد والبياض.

(٦) تفتر : تغرر بالشيء ضحك أنثر الرجل ضحك ضحكا حسنا ومشافره : مشفر يطلق على شفة البعير لكنه أطلقها على شفتى الزنجية. وتنطبق : تتلاصق وتلزق.

(٧) جأواء : جو كل شيء باطنه وداخله والجوة النقرة في الجبل وغيره.
والدرق : الدرق الصلب من كل شيء.

(٨) مصمتاً : قوى لايقطر منه شيء. لافتق فيه : الفتق شق الثوب من ناحية الخيط.

إنْ مَعْمَعَ الرعدُ فيه قلتَ : منخرقٌ   أو لألأ البرقُ فيه قلت : محترقُ[1]

تستكُّ من رعدِه أُذنُ السميع كمَا   تعشى إذَا نَظَرَتْ، من برقِهِ الحدق[2]

فالرعدُ صهصلقٌ والريح منخرقٌ   والبرقُ مؤتلقٌ، والماءُ منبعقٌ[3]

قد لاح فوق الرُّبا نَوْرٌ له أَرَجٌ   كأنّه الوشْيُ والديباجُ والسَّرَقُ[4]

من صفرةٍ بينها حمراءُ قانيةٌ   وأصفرٌ فاقع أو أبيض يققُ[5]

طلب منه طاهر بن الحسين وصف ماهو عليه وكان قد دخل عليه وبين يديه غلام يسقيه، فقال إن اجدت وصف ما أنا فيه وهبت لك الخادم فقال[6] :

أيها الساقي الذي أصـ   ـبح يسقينا الرحيقا

سق ندماني عقارا   واسقني من فيك ريقا

فمن نفسي هذا   ن صبوحا وغبوقا

طاهر برّجواد   فاتخذناه طريقا

وكذا كان حسين   فحكى الغصن العروقا

وله في وصف حاله[7] :

صبوت فودعت الصبا بعد كبرة   ولم أقر ذكراه الدموع الجواريا

ولم اتفجع في بقايا شبيبة   جنت بمواضيها على الدواهيا

(١) معمع : الشدة في كل شيء في الحرب وفي الحر وفي الصوت للرعد.

(٢) تستك : تصمم الأذان من قوة الصوت. تعشى : أى لاترى شيئاً من قوة النور أمامها.
الحدق : سواد العين.

(٣) صهصلق : الصوت الشديد. الريح منخرق : قوية تخرق مايقف في وجهها.
منبعق : أى نزل المطر بغزارة شديدة فشق الذي أمامه.

(٤) الرُّبا : المكان العالى. ارج : الأرج الرائحة الطيبة. السرق : شقق الحرير.

(٥) يققُ : شديد البياض.

(٦) قطب السرور ١.

(٧) الانساب المتفقة ١٠٦.

وقال في الطيف [1] :

ولمّا اسْتَقَرَّ النَّوْمُ في جَفْنِ عَيْنِه — ومـاتَـتْ لـهُ أوصَـالُـهُ والـمَـفَاصِلُ
رَمَتْ غَمَراتُ المَوْتِ رَمْياً بِنَفْسِها — ولليّـل سِـتْـرٌ حَـوْلَـهَـا مُـتَـهادلُ
فَأَهْدَى إليْنَا اللَّيْلُ شَخْصاً تَنَاسبتْ — إلـى الـحُسْن مِنْه صُورةٌ وشَـمَـائِـلُ
فباتت غَمَامَاتُ النَعيم تَجوُدُنا — لهـا دِيَـمٌ حتَّـى الصَّبَـاح وَوَابِـلُ

(١) طيف الخيال ٥٤.

٥ ـ الحكمة

وقال في الحكمة[1] :

يغرُّ الفتى مرّ الليالى سليمةً وهنَّ به عمّا قليل عواثر

فان أعصى ريعان الشباب فطالما اطعت إليه الجهل والحلم وافر

وقال يوصى بالصبر[2] :

طَمَعُ النُفوسِ مطِيَّة الفَقْر ولَيَأْسُها أَدْنَى إلى الوَفْر

اصبر إذَا بدهَتْكَ نازلَةٌ ماعالَ مُنْقَطِعٌ إلى الصَّبرْ

الصَّبْرُ أنْبَلُ ما اعتَصمتَ به ولَنِعْمَ حَشْو جوانحِ الصَّدْرِ

وقال[3] :

لاترج رجعةَ مذنبٍ خلط احتجاجا باعتذار

وقال[4] :

وأكلت دهرك أربعين واربعا فاصبر لأكلته وعضة نابه

وقال[5] :

لؤم يعيذك من سوء تفارقه أبقى لعرضك من قول يداجيكا

---

(١) الحماسة البصرية ٤٢٨/٢.
(٢) نور القبس ٣٩.
(٣) الكامل ١٢٧/٤.
(٤) المنتحل ١٤٧.
(٥) معجم الأدباء ٢١٤/٦.

أعْدَى أعاديك نفس غير صالحة ... وسوء رأيك أعدى من أعاديكا
وقد رمى بك في تيهاء مهلكة ... من بات يكتمك العيب الذي فيكا

وقال[1] :

ولا عار إن زالت عن الحر نعمةٌ ... ولكنَّ عارا أن يزول التجمل

وقال :

فاخش سكوتي فطنا منصتا ... فيك لتحسين جنى القائل
مقالة السوء إلى أهلها ... اسهل من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمّه ... ذموه بالحق وبالباطل

وقال[2] :

فيا ابن أبي لا تغترب إن غربتي ... ستثنى بكف الضيم ماء الحناظل

وقال[3] :

ولو كان يستغنى عن الشكرِ ماجدٌ ... لعزة ملك أو علوّ مكان
لما أمر الله العباد بشكره ... فقال اشكروا لي أيها الثقلان

---

(١) أمل الآمل ٥٤.
(٢) اللطائف والظرائف ٩٩.
(٣) معجم الأدباء ٢١٤/٦.

٦ ـ الاخوانيات

١ ـ وقال في الاخوانيات [١] :

تـودُّ عـدوى ثم تـزعـمُ أنَّـنـى صـديـقُـكَ إنّ الـرأى عنك لعازبُ
ولـيس أخى من ودَّنى رأى عينيه ولـكن أخى من ودنى وهو غـائـبُ

وقال [٢] :

إنّى بلوتُ النـاسَ في حـالاتِهم وخـبـرتُ مـا وصـلوا من الأسباب
فـإذَا الـقـرابـةُ لاتُـقربُ قـاطِعاً وإذَا المـوُدَّة أقـربُ الأنـسـاب

وقال [٣] :

هَـيْـبـة الإخـوان قـاطـعـةٌ لأخـى الحـاجـاتِ عـن طَـلَـبـه
فـإذا مـاهِـبـتُ ذا أمَـلٍ مـات مـا أمّـلـت مـن سَـبـبِهِ

وقـال [٤] :

قد كنت أبكى على مافات من سلفى وأهـل ودى جـمـيـعـا غير أشـتـات
فـالـيوم أن فـرقـت بيـنـى وبـينهم نـوى : بـكـيت عـلى أهل المودات

ولـه يـستزيد عبدالله بن طاهر بن الحسين، وكان قد زار الشاعر فقال الناس: انها ليست زيارة بل محطة استراحة :

---

(١) العقد الفريد ٢/٢٠١.
(٢) الاغانى ١٣/١١٧.
(٣) الاغانى ١٣/١١٦.
(٤) الصداقة والصديق ١١٧.

يـامَـنْ أفَـادَتْـنـيِ زِيـارَتُـه　　بـعـد الخـمـول نـبـاهـةَ الـذكْـرِ
قـالـوا الـزيـارةُ خَـطْرةٌ خَـطَرت　　ومجـاز خَـطْـرك لـيـس بـالخـطِـر
فـادْفَـعْ مـقـالـتَهـم بـثـالـثـة　　تـسـتَـنْـفـد المجـهـودَ مِـنْ شـكـرى
لا تجـعـلَـنّ الـوتـر واحـدةً　　إن الـثـلاث تـتـمـةُ الـوتـرِ

فبعثته الأبياتُ إلى أن زَارَ ثلاثاً [(١)].

وقـال [(٢)] :

اعـتضتُ بـاليـأسِ مـنك صبْـراً　　فـاعـتـدل الحـزن والـسـرور
فـلـسـتُ أرجـو ولـسـتُ أخشى　　مـافـعـلـت بـعـدك الـدهـور

وقـال [(٣)] :

لـشـجـر فـي سـبـخ نـابـت　　يجـنـى بـأنـيـاب وأضـراس
أحسـن حـالا مـن أخـى فـاقـة　　يحـاول الـنـيـل مـن الـنـاس
لـولا كـرامـتـكـم لما عـاتـبـتـكـم　　ولـكـنـتم عـنـدى كـبـعـض الـنـاس

وقـال [(٤)] :

ولـقـد أَقـولُ تَـصـبُّـرا وتـكـرُّمـا　　لمـا تـخَـرِمُ وُدّك الأيـامُ
إنْ تجـفُـنـى فـلطـالما قـرَّبـتـنـى　　هـذا بـذاكَ ومـا عـلـيـك مَـلامُ

---

(١) زهر الآداب ٦٢١/٢.
(٢) سرقات أبى نواس ٥٤.
(٣) مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب ٦٠.
(٤) الصداقة والصديق ١٣٢.

٧ ــ العتب

قبل أن يتولى المأمون الخلافة لقيه العتابى في سندان فطلب منه أن يأتى إليه إذا صار الأمر له، فلما تولى المأمون الخلافة أتاه العتابى في بغداد، فلما طال وقوفه بالباب ولم يؤذن له بعث إلى المأمون بهذه الأبيات، وتعد من باب العتب[(١)] :

ما على ذلك افترقنا بسنْدا ... ن ولاهكذا عَهِدْنَا الإخَاء (٢)

لم أكن أحسب الخلافة يزدا ... د بها ذو الصفاء إلاّ صفاء

تضرب الناس بالمثقّفة السُّمـ ... ـر على غَدْرهم وتنسى الوفاء (٣)

وقال (٤) :

إذا نحن أظهرنا لقومٍ عداوةً ... ولان لهم منكم جناحٌ وجانبُ

فلا أنتم معنا ولا نحن منكم ... إذا أنتم لم تسألوا من نحاربُ

لامته زوجته على عدم التقرب إلى الخلفاء والوجهاء، وكانت من باهلة فلامها بقوله (٥) :

---

(١) زهر الآداب ٦٢٢/٢.

(٢) سندان : المقصود بها سنداد وهي منازل اياد اسفل سواد الكوفة.

(٣) المثقفة : الرماح المساوة من أعوجاجها. والسمر : صفة تطلق على الرماح.

(٤) العقد الفريد ٣٠٧/٢.

(٥) البيان والتبيين ٣٥٣/٣، ٣٥٤. وروتها كتب أخرى بروايات مختلفات. الحيوان ٢٦٥/٤، ٢٦٦ عيون الأخبار ٢٣١/١، ٢٣٢، العقد الفريد ١٤٢/٣، زهر الآداب ٦٧٥/٣، ٢٢٤، الوساطة بين المتنبى وخصومه ٢٢٤.
الروايات : روى الجاحظ والاصفهانى زوى وانفرد الاغانى برواية الفقر بدل الدهر وروى الحصرى طول بدل لوى. وفي البيت الثانى روى الحصرى منظمة وروى الاصفهانى الثرا بدل الكسا. وفي البيت الثالث رواه الاغانى والحصرى بـ أسرك وروى الاصفهانى في الشطر الثاني من العيش، وروى الحصرى والجاحظ من الملك. وفي البيت الرابع روى الجاحظ والاصفهانى والحصرى اغصنى وتعصها وانفرد الاصفهانى بروايته المشرقات بدل المرهفات. وفي البيت الخامس روى الاصفهانى دعينى، وانفرد العقد الفريد برواية البيت السادس.أما البيت السابع فرواية الجاحظ كريمات ورواها الاصفهانى والحصري برفيعات «فان رفيعات المعالى...» وروى الاصفهانى الامور بدل المعالى.

تلوم على ترك الغنى باهلية لوى الدهر عنها كل طرف وتالد[1]
رأت حولها النسوان يرفلن في الكُسا مقلدة أجيادُها بالقلائِدِ[2]
يسرُّكِ أنى نلت ما نال جعفرٌ وما نال يحيى — في الحياة — بن خالِدِ
وأن أمير المؤمنين غصنى مغصها بالمرهفات الحدائد[3]
ذرينى تجئنى ميتتى مطمئنة ولم أتجشّم هوْلَ تلك الموارِدِ
فإن الذي يسمو إلى الرتب العُلى سيُرمَى بألوان الفِرى والمكايد
وجدت لذاذات الحياة مشوبةً بمستودعاتٍ في بطون الأساودِ[4]

وله يعتب على عمرو بن مسعدة[5] :

قَدْ كنتُ أرجو أنْ تكونَ نصيرى وعلى الذي يبغى علىّ ظهيرى
وطفقتُ آمل مايُرجىّ سيبهُ حتى رأيتُ تَعَلُّقِى بغرور[6]
فحضرتُ قبرك ثم قلت دفنته ونفضت كفى من ثرى المقبورِ
ورجعتُ مفتريا على الامل الذي قد كان يشهدُ لى عليك بزور

وقال[7] :

قَدْ أتيناك للسّلام مرارا غيرَ منٍّ منّا بذاك المزارِ
فاذا أنت في استِتَارك بالليـ ـلِ على مثل حالِنَا بالنهارِ

(١) الطرف : الجديد من المال. والتالد : القديم من المال.
(٢) يرفل : من رفل وهو جر ذيله وتبختر.
(٣) المرهفات : السيوف اللوامع. والحدائد : السيوف القواطع.
(٤) الاساود : جمع اسود وهي الحية.
(٥) معجم الأدباء ٢١٤/٦.
(٦) طفق : ابتدأ وأخذ. وسيبه : أى ذهب كل مذهب أى جرى الجد كل مجرى.
(٧) العقد الفريد ٥٤/١.

٨ ـ الشكوى

وقال العتابى في الشكوى من الدهر وفيه حكمة(١) :

ألا قد نكس الدهرُ فأضحى حلوه مُرّا
وقد جربتُ من فيه فلم أحمدُهم طُرّا
فألزم نفسك اليأس من الناس تعش حرّا

وله في الشكوى من صروف الزمان(٢) :

وقائلةٍ لماً رأَتْنِي مُسَهَّداً كأنّ الحشَا منى تلذّعُه الجمرُ
أباطِنُ داءٍ أم جوىً بك قائلٌ فقلت الذي بى مايقومُ له صبرُ
تفرُّقُ ألآفٍ وموتُ أحبَّةٍ وَفَقْدُ ذَوِى الأفضالِ قالتْ كذا الدهرُ

وقال في الشكوى من الغربة(٣) :

حتى متى أنا في حَلٍّ وترحالِ وطُول شُغل بإدبارٍ وإقبالِ
ونازح الدار ما ينفكّ مُغترباً عن الأحِبّةِ مايدرون ما حالى
بمشرقِ الأرضِ طورا ثم مغربها لايخطر الموتُ من حرص على بالى
ولو قنعتُ أتانى الرزقُ في دَعَةٍ إن القنُوع الغنى، لاكثرة المالِ

وقال(٤) :

هذا كِتابُ فتىً له هِمَمٌ ساقَتْ إليكَ رجاءه هِمَمهْ

(١) تاريخ بغداد ٤٩١/١٢.
(٢) العقد الفريد ٢٣٣/٣.
(٣) العقد الفريد ١٤٣/٣.
(٤) وتنسب لأبى تمام وهي في ديوانه شرح الخطيب التبريزي ٥٤٠/٤، دار المعارف بمصر تحقيق عبده عزام.

غَـلَّ الـزّمـانُ يَـدَيْ عـزيمـتـه   وهـوت بـه مِـنْ حِـالـقٍ قَـدَمُـهْ [1]
وَتَـواكَـلـتُـهُ ذَوُو قَـرَابـتـه   وطـواه عـن أكـفـائِـه عَـدَمُـهْ [2]
افـضـى إلـيـك بسرِّهِ قـلـمٌ   لـو كـان يـعـقِـلُـه بـلَـىَ قَـلَـمُـهْ

وله في الشكوى من صروف الدهر[3] :

لـفـظـتـنـى الـبـلادُ، وانـطـوت   الأكـفـاءُ، ومـلّـنـى جِـيـرانـى
وآلـتـقـتْ حَـلْـقـةٌ عـلـىّ مِـن   الـدّهْـرِ فـاجَـتْ بـكَلْـكَلٍ وجِـرانِ [4]
نـازعـتـنى أحداثُـها مُـنية النفس   وهـدّت خـطـوبُـهـا أركـانـى
خـاشعٌ للهـموم معـترفُ الـقلب   كـئـيـبٌ لـنـائـبـات الـزمـانِ

---

(١) حالق : المكان العالي الشاهق.
(٢) عدمه : فقره وحاجته.
(٣) زهر الآداب ١٠٥٧/٤.
(٤) كلكل : صدر الجمل. والجران : الرقبة، وفيه مجاز مرسل.

٩ ــ النصح

وقال في نصيحة ممقوته لكون السجود انما هو للبارى تبارك وتعالى، ولايجوز مثل هذا ولو من باب التجوز أو الدعابة والممازحة أو السخرية، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث (رب كلمة يقولها الرجل ليضحك بها القوم، يهوى بها في النار سبعين خريفاً)[1]، أو كما قال.

يقول العتابى :

اسجد لقرد السّوءِ في زَمَانه وإن تَلقّاك بخنزوانه

ولاسيّما مادام في سلطانه

(١) انظر الترمذي، الزهد ٤٦ واحمد بن حنبل ١/٤٣٠ و٢/١٩٧.

١٠ ــ التوديـــع

ويبدو أن الشاعر قد أصاب من العيش نعمة ورخاء، ثم اصابه اقتار اضطره إلى بيع جارية، يبدو انها كانت اثيره عنده، قريبة من نفسه، ولذا ودعها بهذه القصيدة[١] التي تصور ألم كل واحد منهما من فراق الآخر :

مــاغـنَـاء الـحِـذَارِ والإشـفـاقِ ... وشآبـيـب دمْـعِـك الـمُـهْـرَاقِ[٢]

لـيس يَقْوَى الفؤادُ منك على الصّدِّ ... ولا مُـقْـلَـتَـا طَـلِـيـحِ المآقـى[٣]

غـدرات الأيَّـامِ مـنـتـزِعـاتٌ ... مـاغـنْـمـنَـا من طول هـذا العِناق

إن قـضَـى اللـهُ أن يـكـون تَـلاَقٍ ... بـعـد مـا قـد تـريـن كـان تَـلاقِ

هـوِّنـي مـاعليك واقـنَىْ حَـيَاءً ... لسـتِ تبـقين لـي ولـسـتُ بِبَاقِ

أيـنـا قـدَّمَـتْ صـروفُ المـنـايا ... فـالـذي أخّـرتْ سـريـعُ اللّحـاقِ

ويـدُ الحـادثـات رَهْـنٌ بـمُـرَّا ... تٍ من العـيـش مُضْبِرَاتِ المذاق[٤]

غُـرّ مَـنْ ظـن أن يـفـوت المـنـايا ... وعُـراهـا[٥] قـلائـدُ الأعـنـاق

كـم صَـفِـيَّـيْـنِ مُتّعا باتفاقٍ ... ثم صـارا لـغُـرْبَـةٍ وافـتـراقِ

قـلـت للـفـرقـديـن والليلُ مُلْقٍ ... سُـوَد أكـنـافـهِ عـلـى الآفـاقِ

أبـقَـيـا مـابـقـيتما سوف يُرمى ... بين شـخـصـيكـما بَـسـهْـمِ الـفـراقِ

(١) زهر الآداب ٢/٦٢٢، ٦٢٣.
(٢) مهراق : هرق الماء صبه.
(٣) طليح : هزيل.
(٤) مصبرات : شديدات الحرارة.
(٥) عراها : مايوثق به وما يدخل فيه زرار الثوب.

بينما المرءُ في غضارة عَيْش وصلاحٍ من أمرِه واتّفاَق

عطفتْ شِدّةُ الزمان فأدّتْـ ـه إلى فاقةٍ وضيقِ خِناق

لايدومُ البقاءُ للخَلْق لكِن دوام البقاءِ لِلخَلاَّق

ولا يخفى مافي هذه الأبيات من جمال في المضمون وفي الأسلوب، وقد وفق فيها العتابى، وهو يعزف على أوتار حسه وشعوره فينثر العبارات الحكيمة نثراً، ويقيّد كل مافي هذا الكون بقضاء الله. وتسيطر عليه فكرة الفناء، وإنما الأمر تقديم وتأخير، حتى الفرقدان سيرميان بسهم الفراق وكل من عليها فان، والدوام لله الواحد القهار المبدع الخلاّق.

١١ ـ الاستجداء

وقصد صديقاً في حاجة فقضى له نصفها ومطل في الباقى فقال[١] :

بسطت لسان ثم أمسكت نصفه   فنصف لسانى بامتداحك مطلق
فإن أنت لم تنجز عداتى تركتنى   وباقى لسانى الشكر باليأس ينطق

وفي هذين البيتين لون من الاستجداء إلا أن الشاعر مزجه بلطيف دعابته ثم جعل للشكر لساناً ينطق باليأس من تمام العطية.

وربما عُد من باب التوعد بالتشهير من طريق إعلان اليأس من تمامها.

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ٢٩٦.

متفرقات في شعر العتابي

١ ـ

لِسانُ الفتى كاتبه ووجه الفتى حاجبه[1]
وندمانه كلُّه وكلٌّ لهُ واجبه

(١) مروج الذهب ١٥/٤.

٢ —

اذا مــافــاتــنــى لهــم غــريــض   ضـربـت ذراع بـكـرى فـاسـتـويـت[١]

---

(١) العقد الفريد ١/١٦.

٣ —

وفيتُ كلَّ خليلٍ ودَّني ثمنا إلاّ المؤمِّلَ دولاتي وأيامي[1]

(١) الكامل ١٢٧/٤، الشعر والشعراء د. مصطفى الشكعة ٥٠٣.

٤ —

فــا شرُّ الــثــلاثـــةِ أمَّ عــمــرو　　بــصــاحـبـك الذي لاتـصـحـبـيـنـا (١)

---

(١) الامتاع والمؤانسة ١/١٤٣.

وللعتابي : أما بعد فإنه ليس بمستخلص غضارة عيش إلا من خلال مكروهه، ومن انتظر بمعاجلة الدرك مؤاجلة الاستقصاء سلبته الأيام فرصته[(١)].

وأتى العتابي وهو بالرّى رجلٌ يودّعه، فقال : أين تريد؟ قال : بغداد. قال : إنك تريد بلداً اصطلح أهلُه على صحّة العلانية، وسقم السريرة، كلُّهم يعطيك كله، ويمنعك قُلّه[(٢)].

وله وينسب للعباس : حظّ الطالبين من الدّرْك بحسب ما استصحبوا من الصَّبْر.

---

(١) زهر الآداب ج٢/١٠٧٣ وفيها النصوص الثلاثة.

(٢) لايختص بذلك مجتمع دون مجتمع، وليس أهل بغداد كلهم كذلك، فلعل العتابى كان في تلك الساعة غاضب على بعض اهل بغداد.

٥ ــ وقال (١) :

أعالى أخت المالكين نولى　　بماليس مفقودا وفيه شفائيا
اصارمتى أم العلاء وقدرمى　　بى الناس في أم العلاء المراميا
ايا اخوتى لا أصبحن بمضلة　　تشيب اذا عدت على النواصيا
واتبعته فيكم اذا كان حقهم　　كما كنت لو كنت الطريد مراديا
وشمر ولاتجعل عليك غضاضة　　ولاتنس يا ابن المضرحى بلائيا

هذا مجموع ماتوصلنا إليه من شعر العتابي، والجدير ذكره أن أغلب قصائده، أو مقطعاته، أو أبياته متناثرة في بطون الكتب، يذكرها المؤلفون شواهد في مواضيع بلاغية أو خطابيه.

كقول صاحب المصون في الأدب(٢) :

أول من بدأ بتشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد أمرؤ القيس ، فقال:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسأ　　لدى وكرها العُنَّاب والحشُف البالي

وقال منصور النمرى :

ليلٌ من النَّقع لاشمسٌ ولاقمرٌ　　إلا جبينك والمذروبه الشُّرُعُ

ثم تبعه بشار، فقال :

كأن مُشار النَّقع فوق رؤوسهم　　وأسيافنا ليل تهاوت كواكبه

وقال العتابي :

تبني سنابكها من فوق أرؤسهم　　سقفاً كواكبه البيض المباتير

(١) الاغانى ٢٠/١٥٨.
(٢) المصون في الأدب ، تأليف أحمد بن الحسين العسكري/ ٦٥ ــ ٦٦.

الفصل الثاني
نصوص النثر

١- رسائل وخطب قصيرة
٢- أقوال نثرية متعددة
٣- أدب التوقيعات

إن مجموع ماوقفنا عليه من نثر للعتابى، متفرق في بطون الكتب المتعددة، ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ قسم يعتبر من أدب التوقيعات.
٢ ــ قسم صغير يعتبر من الأقوال النثرية المتعددة في وصف صديق، أو عرض حالة، أو وصف آلة، ومنها مايأتي على شكل حكمه.
٣ ــ قسم يعتبر من الرسائل والخطب القصيرة، ألفاظها منتخبة، وجملها معدودة، لها استهلال يكشف المراد، وعرض وليس لها خاتمة، وقد يأتي بالشاهد الشعري، أو المثل النثري دليلاً على مايقول.

أفكاره فيها أقاويل موجودة حدثت بينه وبين من وجه إليهم خطبه مابين مديح، أو اعتذار، أو هجاء.

وقد جاء بالتعابير النثرية، والتزم بين أجزائها بالمقادير وبالحروف على قدر الحاجة، وعلى قدر الهدف من اقناع السامع. وليبتعد عن الأسلوب المرسل كأن يأتي بالشاهد وبالمثال.

ويأخذ نثره بالوقفات والنبرات، لتتمكن نفس السامع من الفهم، ولكنه كان يرتفع بإسلوبه عن الدارج بين الناس من العامة، ولايبتعد كثيراً عمّا تفهمه الخاصة.

ولانبعده عن تسخير علمه الخطابى للحصول على مايريد في المديح أو الهجاء.

والمطلع على هذه النصوص يكاد يحكم على الكثير منها أنها ناقصة مجتزأة.

وقد أمكننا الحصول على النصوص النثرية التالية، وهي تمثل أدب العتابى وعلمه في الكتابة والخطابة. ونعرض أولاً للقسم الثالث، الذي يتناول الخطب القصيرة ونختمه بالرسالة التي كتبها باسم ابنته ريطه إلى صديقتها حفصة.

أولاً: رسائل وخطب قصيرة

١ ــ قال يمدح أحد الأمراء :

«أنت أيها الأمير وارث سلفك، وبقية اعلام أهل بيتك، المسدود به ثلمهم، المجدد به قديم شرفهم، المحيا به أيام سعيهم، وإنه لم يخمل من كنت وارثه، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله، ولا امحت أعلام من خلفته في رتبته».

هذه خطبة قصيرة يمدح فيها أحد الأمراء، و يعزو إليه وراثة سلفه، و يراه آخر من بقي من رجال بيته، وأنه مسدد الثغرات وجابر العثرات، مجدد مجد عائلته، وعز لمن يأتى بعده من أهله، محافظ على خطوات من كان قبله، وفيّ يشتد به العضد و يقوى به السند.

يبدأ خطبته باستهلال على صورة المدح، ثم يصف أهمية ممدوحه، ومكانته في أهل بيته قديماً وحديثاً واستهلاله قصير، لأن الموضوع قصير، والموضوع سهل لايحتاج إلى تبيين، وهذا داع من دواعي قصر الاستهلال.

وقال يمدح أحد الأمراء (١) :

«من اجتمع فيه من خلال الفضل ما اجتمع فيك، وانحاز إلى نواحيك، لم يخش المطنب في الثناء عليه أن يكون مُفرطا، كما لايأمن أن يكون مفرِّطا فالاعتراف بالعجز عن بلوغ استحقاقك من التقريظ أَوْلَى من الإطناب الذي غايته التقصير ومآله إلى الحشو».

اتخذ الاستهلال هنا صورة المدح المباشر، ورأى ممدوحه وقد حاز الفضائل كلها مجتمعة. وغاية هذا الاستهلال هنا اخبار الممدوح من الكلام مايريده الخطيب

(١) معجم الأدباء ٢٦/١٧.

فالعتابي هنا يختزل طلبه وهو يريد الإطالة، لكنه يستخدم للأماني قصير الكلام، ويحسن التلاعب بالألفاظ، والمحسنات البذيعية فهنا السجع، والجناس الناقص، وبراعة الاستهلال.

وقال في المدح والاعتذار :

«دعيت إليك ونفسي رهينة بشكرك ولساني علق بالثناء عليك والغالب على ضميرى لائمة لنفس في الأبطاء عنك، واستقلال لجهدى في مكافأتك وانت ـ أعزك الله ـ في عز الغنى عنى، وانا تحت ذل الفاقة إلى عطفك، وليس من متشابه اخلاقك أن تولى جانب النبوة منك، من هو عان في الضراعة اليك».

بدأ خطبته باستهلال صغير عبّر عنه في العبارة الأولى، واجتهد في بقية العبارات كلها أن تكون خادمة لهذا الاستهلال ثم راح يدلل على مايقول دون أن يختم خطبته، ولجأ إلى الأسلوب المقطع. فكانت فقراته متناسبة في الطول متتابعة في المعنى.

الاخوانيات

وقال في رسالة لصديق له[١] :

«أما بعد : أطال الله بقاءك، وجعله يمتد بك إلى رضوانه والجنة، فانك كنت عندنا روضة من رياض الكرم، تبتهج النفوس بها، وتستريح القلوب إليها، وكنا نعفيها من النجعة استتماما لزهرتها وشفقة على خضرتها، وادخاراً لثمرتها، حتى أصباتنا سنة كانت عندى قطعة من سنى يوسف واشتد علينا كلبها وغابت قطتها، وكذبتنا غيومها، واخلفتنا بروقها، وفقدنا صالح الاخوان فيها، فانتجعتك وأنا بانتجاعى اياك شديد الشفقة عليك مع علمى بأنك موضع الرائد، وأنك تغطى عين الحاسد، والله يعلم أنى ما أعدك الا في حومة الأهل.

(١) جمهرة رسائل العرب ٣/٣٩٨، ٣٩٩.

واعلم بأن الكريم اذا استحيا من اعطاء القليل، ولم يمكنه الكثير، لم يعرف جوده، ولم تظهر همته وانا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس ممدود وقلبه أبدا بالبخل معقود
ان الكريم ليخفى عنك عسرته حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود
اذا تكرمت عن بذل القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته فكل ماسد فقرا فهو محمود

ولعل ورود هذه الأبيات في هذه الرسالة كان سبب نسبتها إليه وورودها على هذا النحو لايقضى بصحة نسبتها إلى العتابى لكون اسلوب الاستشهاد بالأبيات عنده معروفاً ومألوفاً.

ولعل العباس هنا هو العباس بن محمد من أعمام الرشيد، وقد كان أثيراً عنده يجلّه و يقدمه، وكان قد هم أن يخطب إليه ابنته، وله قصة طريفة مع ربيعة الرقي أوردها صاحب الأغاني[1]. ومختصرها أن ربيعة الرقي كان مدحه بقصيدة جميلة مطلعها :

لو قيل للعباس ياابن محمد قل : لا، وأنت مخلد، ما قالها

فبعث إليه بدينارين، فاغتاظ ربيعة، وقال للرسول خذ الدينارين فهما لك على أن ترد الرقعة من حيث لا يدرى العباس، فقبل الرسول، فأخذها ربيعة وأمر من كتب في ظهرها :

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وافتريت
فأنت المرء ليس له وفاء كأني إذ مدحتك قد زنيت

(١) ج ١٦/١٩١ دار الثقافة بيروت، ١٩٥٩م.

فلما كان من الغد أخذها العباس، فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات غضب وقام من وقته فركب إلى الرشيد... فرأى الكراهة في وجهه، فقال : ماشأنك؟ قال : هجاني ربيعة الرقي، فأحضر، فقال له الرشيد : يا ماص كذا وكذا من أمك، أتهجو عمي وآثر الخلق عندي؟

لقد هممت أن أضرب عنقك، فقال : والله ياأمير المؤمنين لقد مدحته بقصيدة ماقال مثلها أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء، ولقد بالغت في الثناء، وأكثرت في الوصف، فإن رأى أن يأمره بإحضارها فأمر العباس بإحضار الرقعة، فتلكأ عليه العباس... فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط فأمر بإحضارها، فأحضرت فأخذها الرشيد، وإذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادها وأعجب بها، وقال :

والله ماقال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، لقد صدق ربيعة وبر، ثم قال للعباس : كم أثبته عليها؟ فسكت العباس وتغير لونه وجرض بريقه، فقال ربيعة : أثابني عليها دينارين ياأمير المؤمنين، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة على العباس... (وحين علم أنها الحقيقة) غضب غضباً شديداً، ونظر في وجه العباس بن محمد وقال : سوأة لك أي حال قعدت بك عن إثابته؟ أقلة مال؟ والله لقد مولتك جهدي، أم انقطاع المادة عنك؟ فوالله ما انقطعت، أم أصلك؟ فهو الأصل لايدانيه شيء، أم نفسك؟ فلا ذنب لي والله لم تبخل بك إلا نفسك، حتى فضحت آباءك وأجدادك وفضحتني ونفسك.

فنكس العباس رأسه ولم ينطق، فقال الرشيد : ياغلام اعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعه واحمله على بغله، فلما حمل المال بين يديه وألبسه الخلعه، طلب منه الرشيد ألا يذكره في شعره تعريضاً ولا تصريحاً. وهذا ماعرف عن العباس بن محمد، فلعله هو المقصود في نص العتابي، والله أعلم.

وقال العتابى للرشيد حينما غضب عليه فدخل مع المتظلمين بغير إذن فمثل بين يدى الرشيد وقال له[1] :

---

(١) الاغانى ١١٣/١٣.

«ياأمير المؤمنين، قد آذتني الناس لك ولنفسي فيك، وردّني ابتلاؤهم إلى شكرك، ومامع تذكُرك قناعةٌ بغيرك، ولنعم الصائن لنفسى كنت، لو أعانني عليك الصبر. وفي ذلك أقول :

أخِضْنِي المقَام الغَمَر إن كان غرّنى ... سناخُلّبٍ أو زلّتِ القدمان

أتتركُنى جَدبَ المعيشةِ مُقْتِراً ... وكفّاك من ماء الندى تَكِفان

وتجعلُنى سَهْمَ المطَامع بعدما ... بلّلَت يميني بالنّدَى ولسانى

وهذا النص خطبه قصيرة ألقاها بين يدي الرشيد بدأه باستهلال مختصر نادى به الخليفة ثم صاغه من واقع ماجرى معه، أثناء دخوله مع الناس وليته بدل عبارته النثرية الأخيره (لو أعانني عليك الصبر)، وقال :(لو أعانك عليَّ الصبر) فهذا ماتقتضيه فضيلة التعبير مع الخليفة. وأما الأبيات فهي دلائل وقرائن يشكوبها مصابه وما ألم به.

وقال يعاتب صديقا له[1] :

«لو اعتصم شوقى إليك بمثل سلوك عنى، لم أبذل وجه الرغبة إليك ولم أتجشم مرارة تماديك، ولكن استخفتنا صبابتنا، فاحتملنا قسوتك لعظيم قدر مودتك، وأنت أحق من اقتص لصلتنا من جفائه ولشوقنا من ابطائه».

هذا النص خطبة قصيرة مؤلفة من خمس جمل فيها استهلال وعرض لحالين متباينتين، حال من يجفو اخوانه بقساوة، وحال من يصفح و يسامح ولايعامل بالمثل.

وقال في الهجاء[2] :

«تأنينا افاقتك من سكرتك، وترقبنا انتباهك من رقدتك، وصبرنا على تجرع الغيظ فيك، حتى بان لنا اليأس من خيرك، وكشف لنا الصبر عن وجه الغلط فيك، فها

(١) جمهرة رسائل العرب ٣/٣٩٧.
(٢) جمهرة رسائل العرب ٣/٤٠٠، ٤٠١.

أنا قد عرفتك حق معرفتك، في تعديك لطورك، واطراحك حق من غلط في اختيارك».

هذا النص خطبة قصيرة بدأها دون استهلال، وهي موجهة إلى من صوّره لنا أدنى منزلة منه، ووصفه بالصفات المعنوية السيئة.

وله في وصف الصديق الصالح(١) :

«ما أحوجك إلى أخ كريم الأخوة كامل المروءة، اذا غبت خلفك، واذا حضرت كنفك، واذا انكرت عرفك، واذا جفوت لاطفك، واذا بررت كافأك، واذا لقى صديقك استزاده لك، وإن لقى عدوك كف عنك غرب العادية واذا رأيته ابتهجت، واذا باثثته استرحت».

ومن أقواله في مجلس المأمون الخليفة العباسى(٢) :

«كتب المأمون في إشخاصِ كلثوم بن عمرو العتابى، فلما دخل عليه قال له :

ياكلثوم، بلغتنى وفاتُك فساءتنى، ثم بلغتنى وفادتُك فسرّتنى. فقال له العتابي :

يا أمير المؤمنين، لو قُسمت هاتانِ الكلمتانِ على أهل الأرض لو سِعتاها فضلاً وإنعاما، وقد خَصَصتنيِ منهما بما لايتّسِع له أُمنية، ولايبسط لسواه أمَل، لأنه لادِين إلاّ بِك، ولا دنيا إلا معك. فقال له : سلنى. فقال : يدك بالعطاء أطلَقُ من لسانى بالسُّؤال».

ومن أجوبته أنه(٣) :

«كلم يحيى بن خالد في حاجة بكلمات قليلة، فقال له يحيى :

لقد ندر كلامك اليوم وقل. فقال له : كيف لايقل وقد تكنفنى ذل المسألة،

---

(١) الصداقة والصديق ٢٢.

(٢) الاغانى ١١١/١٣.

(٣) الاغانى ١١٤/١٣.

وحيرة الطلب، وخوف الرد؟ فقال : والله لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده».

حدثنا ابن مهرو يه، قال : حدثنا عثمان الوراق،قال [1] :

رأيت العتابى يأكلُ خبزاً على الطريق بباب الشام، فقلت له : ويحك، أما تستحى؟ فقال لى : أرأيت لو كنا في دارٍ فيها بقر، كنت تستحى وتحتشم أن تأكل وهى تراك؟ فقال : لا. قال : فاصِبرْ حتى أُعلمك أنهم بقر. فقام فوعظ وقصَّ ودعا، حتى كثُر الزحام عليه، ثم قال لهم : روى لنا غير واحدٍ، أنه من بلغ لسانُه أرنبة أنفه لم يدخُل النار. فما بقى واحدٌ إلا وأخرج لسانه يومىء به نحو أرنبة أنفه، و يقدّره حتى يبلغها أم لا. فلما تفرقوا، قال لى العتابى : ألم أخبرك أنهم بقر؟

وقال يوصى بانتهاز الفرصة واحتمال المشقة في استخلاص النعمة :

«أما بعد، فإن أحداً ليس بمستخلص شيئاً من غضارة عيش إلا من خلال مكاره، فمن انتظر بعاجل الدَّرْك آجل الاستقصاء سلبته الأيام فرصته، لأن من صناعتها السلب، ومن شرط الزمن الإفاتة [2]».

وكتب العتابى إلى ريطه صديقة ابنته حفصة كتابا على لسانها فقال [3] :

«إن اول حاجتى إليك أن تتدبرى كتابى إليك تدبر انصاف ثم تجيبينى عنه جواب متثبت، فان اخفى الجور جور الاستماع، وانفع العدل عدل الجواب، وليس فيما بين هاتين موضع قدم لواحد من الأمرين. واصل اختلاف العباد في جميع الأمور من علتين اما جهل بما يدعون واما جحد لما يعرفون والجاهل بما يدعى ارجى رجعة من الجاحد لما يعرف، وان كان لاعذر له في ترك علم مايجهل كما لاعذر لاحد في جحد مايعلم، وانا راضية منك بابعد العلتين من العذر بعد أن لاتجحدينى اقربهما من اللائمة فإن الأول يقول هبنى عذرت اخى في جهل مشكلة فكيف اعذره في جحد معروف. ولست ادرى اذا ناضحت حجته اى حاليه اولى بالتعانيف، أجهله من

(١) الاغانى ١١٤/١٣. وليس في هذا من الخطابة شيء سوى مافيه من خبر بلاغته في الخطابة وقوة تأثيره بها.

(٢) زهر الآداب ٣٨٦/٣.

(٣) الصداقة والصديق ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ط ١، ١٣٠١هـ.

جميـل كنت افعله، ام جهده بعد تعريف وتوقيف؟ وما اقتصرت بك على ادنى حال الانـصاف الا اكـون راجيـة أن اجـدك في افضلها ولكنى نهضت إلى الانتصاح من لايميـل بـواضح يغنينى عن شبه المعاذير ولم آمن مع ذلك أن تظنى أنى إلى مشكلات الأمـور مضـطـرة، ولم أكن لاقدم الوهن واخلف القوة ومع ذلك فإن من الحق مايخبى نـار اللجاجة، ومنه مايذكيها، فأتيتك من اقرب مأتاك، فلا يكونن ما افدت به رضاك علـة لمـنعه، فإن هذه التي انتصلت علتها قبل اللجاجة والاراحين ابتدأت في مقارعة الـقـطيـعـة والـصلة ووقفت بينهما موقف المراهنة، ولك اصلحك الله طول على العتب وعـلـى ذل الاعـتـذار، فـلا يـطمس ذلك نور مايرد عليك فانى اعتد عليك خصالا في كـلـهـا قـد ضـربت الأمثال منها قول اكثم بن صيفى الجود بالمجهود منتهى الجود وانت تعلمين أن مجهودى كله كان لك، ومنه قول النابغة :

اذا كان مجبولا على النصح صاحبى عـفـا الـنصح عما زل من حيث لايدرى

وما استزدتنى نصيحة قط ولا اتهمتنى على غش، ومنه قول طرفة :

مـالـى إليك شـفـيـع استـعين بـه الارجــائــى وافــراديــك بــالامــل

وما استبطأتك في أمر قط ولا أشرت بأملي إلى سواك فأى مدخل للتهمة مع هذه الحال وأن اجمع لصفة مابيننا كقول الأعشى :

ومــاتــفــيــأت مــن ســرور فتم، الا بــكــم ســروری

هـذه أعيان وسائلى التي نافرت إليها عتبك، واستعفيت من جحدها علمك، فإما مـا يـأخـذه الـتخلق و يكون مثله على بعض الأخوان من بعض الشبهة من إيثار الهوى وتحـرى المـوافـقـة والـصبر عـلى الجفوة فذاك الذي أن ضرب لى سهم في انصافك فقد يـنال ذلك باقل مماكنت تدعينه وإما الغيبة في ما بينى و بينك فقد أمكنك من ذلك الاعتداد به، ومحاكمتك إلى ماهو ارجى منه.

ثانيا: أقوال نثرية متعددة

١- في وصف الصديق
٢- في وصف صديق الشر
٣- وفيمن لا عيب فيه
٤- وفي نصح أولي الأمر
٥- الانصراف عن الخلفاء
٦- في المران على الكتابة
٧- فيمن ألف ونقد
٨- في التعزية

وقال لمن سأله عن الصديق[1] :

«اتخذ من ينظر بعينك و يسمع باذنك و يبطش بيدك ويمشى بقدمك ويحط في هواك ولايرى سواك اتخذ من أن نطق فعن فكرك يستملى، وان هجع فبخيالك يحلم وإن انتبه فبك يلوذ وإن احتجت إليه كفاك،وإن غبت عنه دعاك يستر فقره عنك لئلا تهتم له، و يبدى بشره لك لئلا تنقبض عنه».

وفي وصف صديق الشر قال[2] :

«شر الأخوان من إذا وجد مادحاً مدح، وإن وجد قادحاً قدح، وإن استودع السر فضح».

وفي جواب سؤال عمَّن لاعيب فيه قال[3] :

«إن الذي لاعيب فيه لايموت أبداً، ولاسبيل إلى السلامة من ألسنة العامة».

وقال في نصح أولى الأمر[4] :

«مايعين على العدل اصطناع من يؤثر التقى، واطراح من يقبل الرشا، واستكفاء من يعدل في القضية، واستخلاف من يشفق على الرعية».

وفي جواب سؤال عن انصرافه عن الخلفاء وعدم اقباله عليهم قال[5] :

«لأنى أراه يعطى واحدا لغير حسنة ولايد، و يقتل الآخر بلا سيئة ولا ذنب، ولست أرجو منه مقدار ما أخاطر به».

(١) الصداقة والصديق ٩٦.
(٢) غرر الخصائص الواضحة ٤٧١.
(٣) العقد الفريد ٣/١.
(٤) لباب الآداب ٥٥.
(٥) محاضرات الأدباء للراغب ٩٢/١.

وقال في الدُربة والمرانة في الكتابه : [1]

«الاقلام مطايا الفطن، فإن الذي يمارس الكتابة تشحذ أفكاره وتتوارد عليه الأفكار و يستخرج أفكارا جديدة».

وفي التأليف ونقده يقول [2] :

«من قرض شعراً أو وضع كتاباً فقد استهدف للخصوم واستشرف للألسن، إلا عند من نظر فيه بعين العدل، وحكم بغير الهوى، وقليلٌ ماهم».

وقال في التعزية [3] :

«إن اشد من المصيبة حرمان الأجر فيها والحسبة، وقد ذهب منك مارزئت فلا يذهب منك ما عوضت قال الشاعر :

وعوضت أجرا من فقيد فلا يكن فقيدك لايأتي وأجرك يذهب»

قال العتابى : سألنى الأصمعى فقال لى : أى الأنابيب أصلح للكتابة وعليها أصبر؟ فقلت : مانشف بالهجير ماؤه، وستره عن تلويحه غشاؤه، من التبرية القشور، الدرّية الظهور، الفضية الكسور. قال : فأى نوع من البرى أكتب وأصوب؟ قلت : البرّية المستوية القط، عن يمين سنّها برية، تأمن معها المجّة عند المط، الهواء في مشَقّها فتيق، والريح في جفوفها خريق، والمداد في خرطومها رقيق، قال : فبقى الأصمعى شاخصاً إلىّ ضاحكا لايحير مسألة ولاجوابا [4].

---

(١) العقد الفريد ٢٤٨/٤.
(٢) العقد الفريد ٣/١.
(٣) جمهرة رسائل العرب ٤٠٠/٣.
(٤) زهر الآداب ٦١٩/٢.

ثالثاً: أدب التوقيعات

التوقيعات جمع توقيع، وهي من الكلام البليغ الذي يأتي مأتى الحكم وهو قسم ملحق بالكتابة، يتسم بالبلاغة، وبإيجاز اللفظ وسعة معانيه، وقوة مغزاه، ودقة معناه، وجمال مبناه. وأدق تعريف لهذا النوع من الأدب أنه جمل نثرية مختصرة تذيّل الشكاوى والمظالم، أوالمطالب والاقتراحات التي كانت ترفع إلى المسؤولين في صدر الدولة الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين، ثم نمت أيام الدولة الأموية، وازدهرت في نهاية الحكم الأموي وأول العصر العباسي .

قيمة التوقيعات :

للتوقيعات قيمة أدبية عظمى، فهذا الايجاز، وهذه البلاغة، وهذا السمو في المعنى، والقوة المختلجة في الألفاظ، كل ذلك أثبت أثراً في النفوس، وأبعد صدى في القلوب (١).

وقد جاء قليل منه في الجاهلية على شاكلة الحكم، كقول أكثم بن صيفي: «قول أشدُّ من صول» . وقول لقمان «الصمت حكم وقليل فاعله». ومنه قول الحسن ابن علي : إني وجدت لساني سَبُعاً إن أرسلته اكلني».

ومن هذا في الحديث النبوي «إن من الكلام عيالاً» (٢) .

ومن توقيع لأبي بكر إلى خالد بن الوليد، وقد استأذنه في ملاقاة العدو : «ادنُ من الموت تُوْهب لك الحياة» (٣) .

---

(١) الموجز في الأدب العربي وتاريخه، الأدب الإسلامي ص/٦١. طبع دار المعارف لا تاريخ.

(٢) انظر أدب الخواص /ص ٧١.

(٣) الموجز في الأدب العربي/ص ٦١.

ومن توقيع لعمر بن الخطاب على شكوى لأهل مصر من مراون بن الحكم (فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون).

ومن توقيع للإمام علي في كتاب للحسين ضمنه شيئاً من أمر عثمان بن عفان: (رأي الشيخ خير من مشهد الغلام)، ومن توقيع لعثمان بن عفان في قصة رجل شكا عيلة (قد أمرنا لك بما يُقيمك، وليس في مال الله فضل للمسرف)(١).

وإذا وصلنا إلى العصر العباسي، نجد التوقيعات قد تطورت تبعاً لتطور الخطابة، وجل تطورها يظهر في تطويل عباراتها، وزيادة مفرداتها. وقد تحدث الجهشياري عن توقيعات جعفر بن يحيى البرمكي، فقال: (كان جعفر بليغاً، كاتباً، وكان إذا وقع نسخت توقيعاته، وتدورست بلاغاته)(٢).

وأضاف ابن خلدون في مقدمته شيئاً طريفاً، قال: (وإن الناس كانوا يتنافسون في الحصول على توقيعاته ليقفوا منها على أساليب البلاغة، وفنونها حتى قيل إنها كانت تباع كل توقيع بدينار)(٣).

ومن توقيعاته إلى بعض عماله (قد كثر شاكوك، وقل شاكروك فإمّا اعتدلت، وإمّا اعتزلت)(٤).

ولم تكن توقيعات العتابي أقل شأناً من توقيعات جعفر ومما قاله في التوقيعات:

في الوصاية:

«حامل كتابى اليك انا، فكن له أنا والسلام(٥).

وقريب من توقيعة العتابى هذه، رسالة قصيرة كتبها عمرو بن مسعدة الصولي الكاتب الذي كان يلي شؤون الدواوين لعهد المأمون بأمر من الخليفة أمره فيه أن يكتب لشخص كتاباً إلى بعض العمال بالوصية عليه، فكتب إليه سطراً واحداً:

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) الوزراء والكتاب /٢٠٤.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص/ ١٧٣.

(٤) وفيات الأعيان ج١/ ١٠٥.

(٥) جمهرة رسائل العرب ٤٠١/٣.

(كتابي إليك كتاب واثق بمن كتب إليه، معنّي بمن كتب له، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله، والسلام» [1].

والناظر إلى ماكتبه العتابى، وماكتبه عمروبن مسعدة الصولى يجد توقيعة العتابي أبلغ، وأدق، وأوجز، وأثبت أثراً في النفس.

وفي المران والممارسة لصقل اللسان وتعوده على فصيح الكلام قال [2]:

«اذا حُبِسَ اللسان عن الاستعمال، اشتدّت عليه مخارج الحروف»

هذه توقيعة علمية تأتى على قواعد العلميين العاملين في علوم الأحياء، والقائلة بأن العضو الذي لايعمل يضمر. ولذا كان الصراخ مفيداً للطفل، فكلما علا صراخه واشتد بكاؤه وهو صغير، تدرّب جهازه الصوتى على النطق وأسرع بالكلام.

وقال في العتب [3]:

«إما أن تقر بذنبك فيكون اقرارك حجة علينا في العفو عنك، وإلا فطب نفسا بالانتصاف منك، فإن الشاعر يقول:

اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزا   عنه فإن جحود الذنب ذنبان

هذا النص توقيعة تشتمل على فضيلة التعبير الخطابي، والتعبير الشعري، يأتي به شاهداً على ما أراده في مخاطبة من يخاطبه طالباً منه الاعتراف بالذنب ليصيروا إلى العفو عنه.

وقال [4]:

«أما بعد، فإن سحائب وعدك قد أبرقت، فليكن وبلها سالما من علل المطل والسلام».

---

(١) وفيات الأعيان ٣٩٠/١.

(٢) الكامل: للمبرد: ٥٨١/٢ ط ١٣٥٦هـ — ١٩٣٧م.

(٣) الأغانى: ج ١١٥/١٣.

(٤) جهرة رسائل العرب ٣٩٨/٣.

هذه خطبة في قوله أما بعد... وتوقيعة في قوله :

(إن سحائب وعدك قد أبرقت، فليكن وبلها سالماً من علل المطل)، فإنه يستعجله في إنفاذ وعده، ويريد منه أن لايقع في المماطلة، وتأتي الخاتمة بكلمة واحدة والسلام.

والقيمة الأدبية لهذا النص تكمن في إيجازه، وبلاغته وقوة ألفاظه، وله بعد نفسي لقوته الكامنه في قصره وبلاغته.

وقال في الاعتذار أيضاً [1] :

«إن أقل من بلائك عندى يستغرق ثنائي، وأقل من تأميلى إياك يعض على ما كان منى، وليس لك ـــ مع فضلك ورجائى تجاوزك ـــ سبيل إلى قطيعتى»

هذا النص توقيعة مؤلفه من ثلاث جمل يتخللها اعتراض وقد سخّر هذا الاعتراض للهدف من النص، فلا يمكن حذفه لأنه يلخص المعنى كلّه.

الصبر على المرء :

دخل العتابى على الرشيد فقال تكلم ياعتابى فقال [2] :

«الايناس [3] قبل الابساس [4]،لايمدح المرء بأول صوابه ولايذم بأول خطئه، لأنه بين كلام زوره، أو عيّ حصره».

هذه التوقيعة سريعة الحفظ، استهلالها جميل، وكلامها بليغ وتصلح لكل زمان.

بدأها بالجناس الناقص، وجعل الطباق عمودها، فطابق بين المدح والذم، والصواب والخطأ، والكلام والعي.

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٣/٤٠٠.

(٢) زهر الآداب ٣/٦٧٥.

(٣) الايناس : الانس والطمأنينة.

(٤) الأبساس : استدرار الكلام من قولهم أبس بالناقة اذا دعاها للحلب.

خاتمه

لقد فرغت من هذا الكتاب وأنا أشد ما أكون شوقاً إلى مواصلة هذا السبيل الذي يغري بطول صحبة كتب التراث لما تشتمل عليه من فوائد ومتع فكرية لاينضب لها معين، ولا يخلولق فيها جديد، لايمل منها صاحب ولايتعب منها كاتب، فكأنما هي روضة تنوع نباتها وتلونت زهراتها وتلألأ نوارها وفاحت عروفها فارتاحت لها الأرواح، وطاب بها الاستـرواح في أفياء أدواح البيان حيث تحكى الحروف تمايل الأفنان ونسمات المعاني تميلها يميناً وشمالاً، تتحرك أنّا وجهتها روح الأديب، وتسري حيثما أراد لها فكر اللبيب.

إلى ما في هذا التراث من نَفَس الأسلاف وأثر الأحلاف الذي يسر حيناً و يسيء أحياناً مما لايرتضيه السلف ولا يقوى على صده الخلف إلا بعزيمة صادقة لم تتسن بعد.

خواطر عن التراث لو أرسلت فيها للقلم عنانه لجرى بكل مضحك ومبكي فلعل فرصة تتاح لمثل هذا العمل الطري الندي.

وهذا الكتاب، أعنى **(كلثوم بن عمرو العتابي)** خطوة في هذا الطريق ستتلوها، إن شاء الله، خطوات نضيفها إلى رصيدنا في خدمة تراث أمتنا، وهي خدمة، أراها واجبة على كل قادر على ممارستها مؤهل لغشيان ميدانها، وهو ميدان يحف السير فيه مخاوف كثيرة خطيرة تحتاج إلى صبر وجلد وعدة واستعداد.

والعتابي عالم جليل وشاعر فحل وكاتب بليغ، ذكرت في فاتحة هذا الكتاب أن أقلام الدارسين لم تعط أدبه وفنه وأخباره من الدراسة ماينصفه، أو يدنو من ذلك، الأمر الذي شجعني على أن أخصه بهذه الدراسة.

لقد أقدمت على هذا العمل وأنا أعرف الكثير عن (العتابى) لكن كانت تلكم

المعرفة مشوبة بآراء كثيرة تعجل بعضها الاحكام فقلدها في ذلك آخرون، ومن ذلك على سبيل المثال :

١ ــ وصفه بالاعتزال وهو مالم نصل فيه إلى حكم قاطع لدى المتقدمين، بل إن ماروواه (أبوحيان) كفيل بنفي الاعتزال عنه.

٢ ــ ومنه ماروي على لسانه من تفضيل العجم على العرب في باب المعاني وهو قول رجحنا بطلانه.

٣ ــ ومنه ماروي عن تصرفه في قصر الرشيد وخطابه ..... ونحو ذلك مما وصلنا فيه إلى مانتيقن أنه وجه الحق، إن شاء الله، وما العلم إلا لله.

ولو لم يكن لهذه الدراسة من فضل سوى جمعها ماتفرق في بطون الكتب من خبره وشعره ونثره لكفاها ذلك.

على أنها قد ضمت إلى هذا دراسة حسنة تلمست فيها وجه الحق، وحاولت إنصاف الرجل في ماله وماعليه متجنباً في ذلك هوى النفس ونزعاتها، وأي هوى يكون لمن يفصل بيني وبينه مئات السنين. ذلكم هو **(كلثوم بن عمرو العتابي)** الذي اشتمل هذا الكتاب على ماعثرت عليه من نصوص أدبه شعراً ونثراً جلوتها في دراسة تضمنها القسم الأول في فصوله الأربعة، ثم ماصحب النصوص من إشارات وتنبيهات وتوثيق قصد به المزيد من خدمة النصوص.

واني إذ أقدم ــ في تواضع ــ هذا الكتاب إلى المكتبة العربية أفعل ذلك وأنا على ثقة بجدواه راجياً من البارى تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن يثيبني عليه بما هو أهله، وله الحق والثناء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وجعلنا منهم آمين،،،

الفهارس الفنّيّة

فهرس الأشعار والقوافي

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الأشعار والقوافي
مطلع القصيدة
(الهمـــزة)

أصحبتك الفضل إذ لا أنت تعرفه ١٢٠
حقاً ولالك في استصحابه أرب

البحر من البسيط

تقضت لبانات ولاح مشيب ١٢٣
وأشفى على شمس النهار غروب

البحر من الطويل

وأكلت دهرك أربعين وأربعا ١٢٩
فاصبر لأكلته وعضّة نابه

البحر من الكامل

تودُّ عدوي ثم تزعم أنَّني ١٣١
صديقك إنَّ الرأي عنك لعازب

البحر من الطويل

إنّي بلوت الناس في حالاتهم ١٣١
وخبرت ماوصلوا من الأسباب

البحر من الكامل

هيبة الإخوان قاطعة ١٣١
لأخي الحاجاتِ عن طلبه

البحر من الخفيف

لسان الفتى كاتبه ١٤١
ووجه الفتى حاجبه

البحر من مجزوء المتقارب

حسن ظني ما عود اللـ ١٠٩
ـه سوايَ منك الغداة أتىٰ بي

البحر من الخفيف

(التاء)

قد كنت أبكي على مافات من سلفي ١٣١
وأهل ودّي جميعاً غير أشتات

البحر من البسيط

إذا مافاتني لهم غريض ١٤٢
ضربت ذراع بكرىٰ فاستويت

البحر من الوافر

(الحاء)

حسن ظني إليك أكرمك الله ١٠٩ــ١١٠
دعاني، فلا عدمت الصلاحا

البحر من الخفيف

بغيت فلم تقع إلا صريعا ١٢٢
كذلك البغي يصرع كل باغ

البحر من الوافر

(الدال)

تلوم على ترك الغنى باهليه ١٣٤
لوىٰ الدّهر عنها كل طرف وتالد

البحر من الطويل

لــو رأتــنــي بــذي المحــارة فــردا ١٣٢
وذراع ابــنــة الــفــلاة وســادي

البحر من الخفيف

لــنــا نــدمــاء مــانمــلّ حــديــثــهــم ١٢٤
أمــيــنــون مــأمــونــون غــيــبــاً ومــشــهــدا

البحر من الطويل

رحــل الــرجــاء إلــيــك مــغــتــربــا ١١٥
حُــشِــدَتْ عــلــيــه نــوائــب الــدّهــر

البحر من الكامل

ظــل الــيــســار عــلــى الــعــبــاس ممــدود ١٢١
وقــلــبــه أبــداً بــالــبــخــل مــقــصــود

البحر من البسيط

بهــجــات الــثّــيــاب يخــلــقــهــا الــدّهــ ١٠٩
ر وثــوبُ الــثــنــاء غــضٌّ جــديــد

البحر من الخفيف

رمــىٰ الــقــلــبَ يــأسٌ مــن ســلــيــمٰــى فــاقــصــدا ١١٨
وكــان بهــا هــيــامــة الــقــلــب مــهــنّــدا

البحر من الطويل

(الـــرّاء)

ماذا شجاك بحوّارين من طلل 110
ودمنةٍ كشفت عنها الأعاصير

البحر من البسيط

فإن تك حمىٰ الغبرث شفّك غبها 111
فعقباك منها أن يطول لك العمر

البحر من الطويل

فلو كان للشكر شخص يبين 111
إذا ماتأمّلَه الناظر

البحر من المتقارب

رسلُ الضمير إليك تترىٰ 118
بالشّوق ظالعة وحسرىٰ

البحر من الكامل

مضت على عهده الليالي 119
وأحدثت بعده أمور

البحر من مجزوء البسيط

إنّي امرؤٌ هدم الإقتار مأثرتي 125
واجتاح مابنتِ الأيام من خطري

البحر من البسيط

كما تـــقـــاذف جُـــردٌ فـــي أعـــنتها ١٢٥
سَـــيـــفـــاً بآذانهـــا مـــرّاً وبـــالـــغـــدر

البحر من البسيط

إذا ســـرّنـــي دهـــري قـــبـــلـــت وإن أبـــىٰ ١٢٥
أبـــيـــت عـــلـــيـــه أن أضـــيـــقَ صـــدرا

البحر من الطويل

يـــغـــرُّ الـــفـــتـــى مـــرُّ الليـــالـــي ســـلـــيـــمـــةً ١٢٩
وهـــنَّ بـــه عـــمّـــا قـــلـــيـــل عـــواثـــر

البحر من الطويل

طـــمـــع الـــنـــفـــوس مـــطـــيّـــة الـــفـــقـــر ١٢٩
وَلَـــيَـــأسُـــهـــا أدنـــىٰ إلـــى الـــوفـــر

البحر من الكامل

لاتـــرج رجـــعـــةَ مـــذنـــب ١٢٩
خـــلـــط احـــتـــجـــاجـــا بـــاعـــتـــذار

البحر من مجزوء الكامل

يـــامـــن أفـــادتـــنـــي زيـــارتـــه ١٣٢
بـــعـــد الخـــمـــول نـــبـــاهـــة الـــذكـــر

البحر من الكامل

اعـــتـــضـــتُ بـــالـــيـــأس مـــنـــك صـــبـــراً ١٣٢
فـــاعـــتـــدل الحـــزن والـــســـرور

البحر من مجزوء البسيط

قـــد كـــنـــت أرجـــو أن تـــكـــون نـــصـــيـــري ١٣٤
وعـــلـــى الـــذي يـــبـــغـــىٰ عـــلـــيَّ ظـــهـــيـــري

البحر من الكامل

قـــد أتـــيـــنـــاك لـلـــتّـــسلام مـــرارا ١٣٤
غـــيـــرَ مـــنٍّ مـــنّـــا بـــذاك المـــزار

البحر من الخفيف

ألا قـــد نـــكـــس الـــدّهـــرُ ١٣٥
فـــأضـــحـــىٰ حـــلـــوه مُـــرّا

البحر من الهزج

وقـــائـــلـــةٍ لمـــا رأتـــنـــي مُـــســـهَّـــدا ١٣٥
كـــأن الحـــشـــا مـــنّـــي تـــلـــذعـــه الجـــمـــر

البحر من الطويل

رحـــل الـــرجـــاء إلـــيـــك مـــغـــتـــربـــا ١١٥
حُـــشِـــدَتْ عـــلـــيـــه نـــوائـــب الـــدّهـــرِ

البحر من الكامل

لئن كـــانـــت الـــدنـــيـــا أنـــالـــتـــك ثـــروةً ١٢١
فـــأصـــبـــحـــت ذا يسر وقـــد كـــنـــت ذا عسر

البحر من الطويل

(السين)

لشجر في سبخ نابت ١٣٢
يجني بأنياب وأضراس

البحر من الكامل

(العين)

عرفت مصيفاً من سُليمىٰ ومربعا ١١٨
بذروة نمُّوذ فأكناف بلتعا

البحر من الطويل

(الفاء)

تخال أذْنيه إذا تشوفا ١٢٦
قادمة أو قلما محرّفا

البحر من السريع

(القاف)

ما غناء الحذار والإشفاق ١٣٨
وشآبيب دمعكَ المهراقِ

البحر من الخفيف

أرقتُ للبرق يخفىٰ ثم يأتلق ١٢٦
يخفيه طورا ويبديه لنا الأفق

البحر من البسيط

أيها الساقي الذي أصـ ١٢٧
بح يسقينا الرحيقا

البحر من مجزوء الرمل

بسطت لساني ثم أمسكت نصفه ١٤٠
فنصف لساني بامتداحك مطلق

البحر من الطويل

(الكاف)

لؤم يعيذك من سوء تفارقه
أبقى لعرضك من قول يداجيكا

البحر من البسيط

(اللام)

ولمّا أستقرَّ النوم في جفن عينه ١٢٨
وماتت له أوصاله والمفاصل

البحر من الطويل

ولاعارُ إن زالت عن الحرَّ نعمة ١٣٠
ولكنَّ عاراً أن يزول التجمل

البحر من الطويل

فاخش سكوتي فطنا منصتا ١٣٠
فيك لتحسين جنى القائل

البحر من السريع

ناهضت بالحسن بن عمران العلىٰ 112
وتنبهتْ لذكائه آمالي

البحر من الكامل

مازلت في غمرات الموت مطّرها 112
قد ضاق عنّى فسيح الأرض من حيلي

البحر من البسيط

فيا ابن أبي لا تغترب إن غربتي 130
ستشني بكف الضيم ماء الحناظل

البحر من الطويل

حتى متى أنا في حلٍّ وترحالِ 135
وطول شغل بإدبار وإقبال

البحر من البسيط

ياصاحباً متلوّنا 121
متباينا فعلى وفعله

البحر من الكامل

ودُّك يكفينيك في حاجتي 109
ورؤيتى كافيةٌ عن سؤال

البحر من السريع

(الميم)

ولقد أقول تصبُّراً وتكرُّما ١٣٢
لما تَخَرَّمَ ودُّك الأيام

البحر من الكامل

ومعضلةٍ الربيع إزاءها ١١٢
لِيُغْمِر ركن الدين لما تهدَّما

البحر من الطويل

أيصدف عن أمامة أم يقيم ١١٩
وعهدك بالصِّبا عهدٌ قديم

البحر من الوافر

بكى واستملَّ الشوق مِنْ حمامة ١١٩
أبت في غصون الأيك إلا الترنُّما

البحر من الطويل

ياقاتل الله أقواماً إذا ثقفوا ١٢٢
ذا اللبِّ ينظر في الآداب والحكم

البحر من البسيط

وفيت كلَّ خليل ودني ثمنا ١٤٣
إلا المؤمّل دولاتي وأيامي

البحر من البسيط

هـــذا كـــتـــاب فـــتـــىً لـــه هِـــمَـــمٌ ١٣٥
ســـاقـــت إلـــيـــك رجـــاءه هـمـــه

البحر من الكامل

(النـــــون)

اخِـضْـــنـــي الـمـقـــام الـغَـمْـرَ إن كـــان غـرّنـــي ١١٦
ســـنـــاخُـــلّـــبٍ أو زلّـــت الـــقـــدمـــان

البحر من الطويل

أمـــا راع قـــلـــبَ الـــعـــامـــريـــة أنـــنـــي ١١٩
غـــدوت ومـــرجـــوع الـــسـقـــام قـــريـــنـــي

البحر من الطويل

ولـــو كـــان يـــســـتـغـنـي عـن الـشـكـر مـاجـد ١٣٠
لـــعـــزة مـــلـــك أو عـــلـــو مـــكـــان

البحر من الطويل

لـــفـــظـــتـــنـــي الـــبـــلاد وانـــطـــوت ١٣٦
الأكـــفـــاء ومـــلّـــنـــي جـــيـــرانـــي

البحر من الخفيف

اســـجـــد لـــقـــرد الـــسّـــوء فـــي زمـــانـــه ١٣٧
وإن تـــلـــقّـــاك بـــخـــنـــزوانـــه

البحر من الرجز

حـــاز صـــمـــصـــامـــة الـــزبـــيـــدي عـــمـــرو ١١٣
مـــن جـــمـــيـــع الأنـــام مـــوســـى الأمين

البحر من الخفيف

فـــا شرُّ الـــثـــلاثـــة أمَّ عـــمـــرو ١٤٤
بـــصـــاحـــبـــك الـــذي لاتـــصـــحـــبـــيـــنـــا

البحر من الوافـــر

(الهـــــاء)

إمـــام لـــه كـــفٌّ يَـــضـــمُّ بـــنـــانهـــا ١١٢
عـــصـــا الـــديـــن ممـــنـــوعـــاً مـــن الـــبـــري عـــودهـــا

البحر من الطويل

وكـــنـــت امـــرأ هـــيَّـــابـــةً تـــســـتـــفـــزنـــى ١١٣
رضـــاعـــي بـــأدنـــى ضَـــجْـــعَـــة أســـتـــلـــينهـــا

البحر من الطويل

فـــكـــم نـــعـــمـــةٍ آتـــاكـــهـــا الله جـــزلـــةً ١٢٢
مـــبـــرّأة مـــن كـــل خـــلـــق يـــذيـــمـــهـــا

البحر من الطويل

(اليـــــاء)

صـــبـــوت فـــودّعـــت الـــصـــبـــا بـــعـــد كـــبـــرة ١٢٧
ولم أقـــر ذكـــراه الـــدمـــوع الجـــواريـــا

البحر من الطويل

المصادر والمراجـــع

- أدب الندماء ولطائف الظرفاء، **محمود بن كشاجم**، الاسكندرية ١٣٢٩هـ.
- أسرار البلاغة، **عبدالقاهر الجرجاني**، نشر محمد رشيد رضا، القاهرة مطبعة الترقي ١٣٣٠هـ.
- الأعلام، **خير الدين الزركلي**، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٦٩م.
- اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، **راغب الطباخ**، حلب ١٣٤٢هـ — ١٩٢٣م.
- الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، **عز الدين ابن شداد**، تحقيق دومنيك سورديل، دمشق ١٩٣٥م.
- الأغاني، **ابو الفرج الاصفهاني**، دار الثقافة بيروت ١٩٥٩م وطبعات أخرى. دار الشعب، القاهرة ١٩٧٠م، وطبعة الساسي.
- أمل الآمل في علماء جبل عامل الحر العاملى **محمد بن الحسن**، تحقيق **أحمد الحسيني**، بغداد مكتبة الأندلس ــ ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٥م.
- الأنساب المتفقه، **أبو الفضل محمد بن طاهر القيسراني**. ليدن، مطبعة بريل ١٢٨٢هـ.
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي. تحقيق **أحمد أمين وأحمد الزين**، بيروت دار مكتبة الحياة.
- البخلاء، **للجاحظ**، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٣م.
- بهجة المجالس وأنس المجالس، **للسيوطي**، القاهرة.
- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق **عبدالسلام هارون**، القاهرة.
- البديع، **لابن المعتز تحقيق اغناطيوس كراتشتوفسكى**، بغداد، مكتبة المثنى.
- تاريخ الأمم والملوك، **أبو جعفر محمد بن جرير الطبري**، طبعة دار المعارف بالقاهرة.

- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، **نجيب البهبيتى**، القاهرة ١٩٦١م.
- تاريخ بغداد، **الخطيب البغدادي**، بيروت، دار الكتاب العربى.
- تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتابعين، **للقشيري المؤرخ**، تحقيق **د. علي شواخ اسحاق الشعيبي**، القاهرة، دار السلام.
- تهذيب تاريخ دمشق. **الكبير غبدالقادر بن أحمد بدران**. دار المسيرة ١٣٩٩هـ.
- **الجاحظ، شارل بيلات، ترجمة ابراهيم الكيلاني** دمشق ١٩٦١م.
- جمهرة رسائل العرب، **أحمد زكى صفوت**، القاهرة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى.
- الحماسة البصرية، **علي بن أبى الفرج بن الحسن صدر الدين البصرى** تصحيح وتعليق **مختار الدين أحمد**. **حيدر أباد الدكن** مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م مطبوعات دائرة المعارف العثمانية.
- دائرة المعارف الإسلامية. ترجمة **محمد ثابت الفندى** وآخرين، طهران، والنسخة العربية إعداد **ابراهيم زكى خورشيد، أحمد الشنتناوى، د. عبدالحميد يونس**، دار الشعب، القاهرة.
- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، **ابن الشحنه**، المطبعة الكاثولوكية، بيروت ١٩٠٩م.
- الدولة الحمدانية، **فيصل السامر**، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٥٣م.
- ديوان أبي فراس، **تحقيق سامي الدهان**، بيروت ١٩٤٤م.
- ديوان أبي تمام، شرح **الخطيب التبريزي**، القاهرة، دار المعارف.
- ديوان جرير، تحقيق **د. نعمان محمد أمين طه**، دار المعارف القاهرة.
- ديوان المعاني **لأبى هلال العسكرى** ـ القاهرة مكتبة القدس ١٣٥٢هـ.
- الديارات، **للشابشتى، بغداد، ١٩٦٦م.**
- **ربيعة الرقي، د. علي شواخ اسحاق الشعيبي**، حلب دار السلام ١٣٩٩هـ.
- زهر الآداب وثمر الألباب، نشر بتحقيق **البجاوى**، القاهرة ١٣٨٩هـ.
- سرقات أبي نواس. **مهلهل بن يموت بن المزرع**، تحقيق **محمد مصطفى هدارة** ـ القاهرة، دار الفكر العربي.

- سيرة ابن هشام، ابن هشام. عبدالملك بن هشام، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م.
- شرح المضنون به على غير، أهله. لعبد الله بن عبد الكافي العبدى ، مكتبة دار البيان ــ بغداد.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة دار المعارف ١٩٦٦م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد القلقشندي، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٣١هـ ــ ١٩١٣م.
- صفة جزيرة العرب، أبو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذاني طبعة ليدن ١٨٨٤م.
- الصناعتين، أبوهلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٥٢م.
- طيف الخيال. الشريف المرتضى، تحقيق حسن كامل الصيرفى، مراجعة ابراهيم الأبيارى ــ القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومى ١٣٨١هـ.
- العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٦م.
- العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٣م.
- العقد الفريد، ابن عبدربه الأندلسي، بيروت، ١٩٦٥م.
- العفو والاعتذار، لأبي الحسن محمد بن عمران العبدي، تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح، الرياض، جامعة الإمام ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.
- عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا، تحقيق طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية ١٩٥٩م.
- الفهرست، للنديم، مكتبة الخياط، بيروت.
- القرآن الكريم.
- الكامل المبرد في اللغة والأدب والنحو والتصريف. تأليف الإمام أبى العباس المبرد بتحقيق الدكتور زكى مبارك، الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ ــ ١٩٣٦م، مطبعة البابى الحلبى بمصر.
- لباب الآداب، : جمع محمد مسعود، القاهرة، مطبعة الجمهور ١٣٢٤هـ.

— اللؤلؤ المنثور، مار أفرام برصوم، حلب، ١٩٥٩م.
— مروج الذهب، للمسعودي، **علي بن الحسن، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.** بغداد.
— المسالك والممالك، ابن خرداذبة، تحقيق **محمد جابر عبدالعال، ومراجعة محمد شفيق غربال**، بغداد.
— المصون في الأدب، أحمد **بن الحسن العسكري، تحقيق عبدالسلام هارون** القاهرة ١٤٠٢هـ.
— معجم الأدباء، **ياقوت الحموي**، طبعة اكسفورد ١٩٢٢م.
— معجم الشعراء، المرزباني، **تحقيق عبدالستار فراج، القاهرة ١٩٦٠م دار إحياء الكتب العربية.**
— **المقابسات، للتوحيدي، طبعة القاهرة.**
— **مقدمة ابن خلدون،** القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، لا تاريخ.
— المنتحل، للثعالبي، شرح وتصحيح **محمد أبو علي**، المطبعة التجارية، الاسكندرية ١٣١٢هـ، ١٩٠٣م.
— الموجز في الأدب العربي وتاريخه، القاهرة دار المعارف لا تاريخ.
— الموشح **للمرزباني** المتوفي سنة ٣٨٤هـ، تحقيق **علي محمد البجاوى** سنة ١٩٦٥م. دار نهضة مصر.
— النقد الأدبي عند اليونان، **د. بدوي طبانه**، القاهرة ١٣٨٩هـ.
— نقد الشعر، **قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى**، الطبعة الأولى ١٩٤٨م.
— نور القبس. القبس المختصر من المقتبس في اخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء **للحافظ اليغموري يوسف بن أحمد بن محمود.** تحقيق رودلف زلهايم ١٣٨٤هـ.
— وفيات الأعيان، **ابن خلكان، تحقيق محيي الدين عبد الحميد**، ط ١٣٦٧هـ — ١٩١٣م.
وطبعة دار صادر، ودار بيروت تحقيق **إحسان عباس.**
— وقائع الندوة الدولية لتاريخ الرقة، وآثارها، الرقة ١٤٠١هـ — ١٩٨١م.